القسم الأول

الملعونُون والملعُونَاتُ
فى القرآن الكريم

obeikandl.com

obeikandl.com

(١) الكُفَّار بمحمدٍ ﷺ والجَاحِدونَ بآياتِ اللهِ تعالى وبيِّناته

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

(البقرة : ٨٨ ، ٨٩)

ففى هاتين الآيتين الكريمتين ـ اللتين وقفنا على تفسيرهما قبل ذلك(١) ـ يشير الله سبحانه وتعالى إلى أهم أسباب اللعن ... وهو الكفر بمحمد ﷺ كخاتم للأنبياء والمرسلين .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾(٢) .

وأنه صلوات الله وسلامه عليه أُرسلَ إلى الناس كافة ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾(٣) .

---

(١) أى : فى مقدمة هذا الكتاب .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٤٠ .

(٣) سورة سبأ : آية ٢٨ .

وأنه صلوات الله وسلامه عليه أُرسلَ إلى الجن كذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾(٢)

وكذلك من أهم أسباب اللعن .. الجحود بآيات الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم ، الذى هو أهم وأفضل معجزة لرسول الله ﷺ إلى قرب القيامة .. وقد (تحدَّى) النبى ﷺ العرب إلى معارضته ، وتحدَّاهم بالإتيان بمثل أقصر سورة منه ، فاستولى عليهم العجز ، وبلغ منهم العىُّ(٣) مبلغه ، وخرست ألسنتهم فلم تحرْ جَواباً ، قال تعالى :﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا الْقُرْآنِ

---

(١) سورة الأحقاف : آية ٢٩ ـ ٣١ .

قالوا : (أُنزل من بعد موسى) لأنهم كانوا من أتباعه ، وقيل : لأن الإنجيل كان مُكملاً للتوراة .

(٢) سورة الجن : آية ١ ، ٢ .

(٣) العِىُّ : ضد البيان ، وقيل : هو الجهل .

لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾(١)

وقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٢)

وقال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٣)

(وإنما) كان القرآن معجزاً ؛ لأنه فى أعلى طبقات الفَصاحة والبلاغة ، وهى توخِّى معانى الألفاظ وأسرار التركيب ، وترتيب الكلام حسبما تقتضيه المقاصد والأغراض ، وهذه هى المزيَّة التى امتاز بها عن سائر الكلام . فعجز المعاندون من العرب عن معارضته مع شُهرتهم وامتيازهم عن غيرهم وتفوقهم فى الفصاحة ، ولا يُلتفت إلى ما قاله بعض الكفرة المعاندين من أنه شعر وكَهانة وأساطير ؛ فإنهم قوم لا يعقلون ولا يفقهون ولو عقلوه وتدبروه ما وَسعَهم إلا الإيمان به ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(٤)

---

(١) سورة الإسراء : آية ٨٨ .

(٢) سورة هود : آية ١٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٣ .

(٤) سورة الحج : آية ٤٦ .

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾(١)

وقد ردَّ الله عليهم فى أكثر من آية ، قال تعالى :

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢)

وقد أشار فضيلة الشيخ أمين محمود خطاب رحمه الله تعالى(٣) فى هامش (الدين الخالص)(٤) بعد هذا الإجمال الذى وقفنا عليه إلى كلام هام قاله القاضى عياض فى كتابه **الشفاء**(٥) ، وهو :

اعلم أن القرآن مُنطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة أهمها أربعة :

أولها : حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة (أى المتجاوزة) عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

الثانى : صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب وكل من هذين النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها

---

(١) سورة النور : آية ٤٠ .

(٢) سورة الحاقة : آية ٤٠ ـ ٤٣ .

(٣) وقد كان رحمه الله تعالى من العلماء المدرسين بالأزهر الشريف ، وقد كان والده عليه رحمة الله تعالى هو محيى السنة وقامع البدعة فى عصره وهو مؤسس الجمعيات الشرعية وقد توفى سنة ١٣٥٢هـ .

(٤) الجزء الأول صفحة ٥٢ .

(٥) من صفحة ٥٤٢ وما بعدها جـ ١ (شرح الشفاء للقارىء) .

والأسلوب الغريب بذاته نوع إعجازه على التحقيق . لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما .

الثالث : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد .

الرابع : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذَّ(١) من أحْبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده ﷺ على وجهه ويأتى به على نصه ، وهو أُمِّىٌّ لا يقرأ ولا يكتب : فهذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام .. حتى لا تكون ـ والعياذ بالله ـ كهؤلاء اليهود المشار إليهم فى هاتين الآيتين اللتين ندور حولهما أو نعلق عليهما.

وكن ـ على عكس هذا ـ من الذين يؤمنون بالله رَبًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، وكن كذلك من أهل القرآن المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٢) . حتى تكون إن شاء الله تعالى من أهل الرحمة ..

والله ولى التوفيق

---

(١) الفذُّ : أي الفرد .

(٢) سورة البقرة : آية ٢ .

(٢) الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى .. والذين ماتوا وهم كفار

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ أى : يُخفون ما بَيَّنه تعالى من أمر نُبُوَّة محمد ﷺ وما أوضحه فى الكتب التى أنزلها على أنبيائهم ، والمراد بهم علماء اليهود والنصارى ـ قال الطبرى : والآية وإن كانت نزلت فى خَاصٍّ ، فإنها تشمل كُلَّ كَاتم علماً فرض الله بيانه للناس : ﴿ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ﴾ أى : من بعد تبيينى ذلك وإيضاحه للناس فى التوراة والإنجيل ﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ أى : أولئك الكاتمون لأمر محمد ﷺ ولدينه ، يطردهم الله من رحمته ، وتلعنهم الملائكة والمؤمنون ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا ﴾ أى : تابوا عن الكتمان ، وأصلحوا أنفسهم بصالح الأعمال ، وبَيَّنُوا وحْىَ الله الذى أنزله على أنبيائه ﴿ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ أى : فهؤلاء أتوب عليهم ، فأجعلهم من أهل طاعتى ومرضاتى ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ أى : وأنا التواب على عبادى ، أتغمدهم بعفوى وأصفح عنهم برحمتى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ أى : جحدوا نبوة محمد ، من اليهود والنصارى وسائر المشركين ، وماتوا وهم على جحودهم ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ

وَالْمَلائِكة وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(١) أى : يطردهم الله من رحمته ، وتلعنهم الملائكة وجميع الناس .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام .. حتى لا تكون كهؤلاء اليهود أو النصارى .. الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى .. وحسبك تحذيراً لك من هذا ، ومن كتمان العلم النافع ـ بصفة خاصة ـ ما ورد :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَن سُئِل عن علمٍ فكتمه أُلجِمَ يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ** » . رواه أبو داود والترمذى وحسَّنه وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والبيهقى ، ورواه الحاكم بنحوه وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وفى رواية لابن ماجة قال : «**ما من رجل يحفظ علمًا فيكتمه إلاَّ أتَى يوم القيامة مَلجُومًا بلجَامٍ من نارٍ** » .

وكن على عكس هذا ، من الذين ينشرون العلم النافع :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن ممَّا يلحقُ المؤمن من عمله وحسناته بعد موتِه علماً عَلَّمَهُ ونَشَره**(٢)

---

(١) سورة البقرة : آية ١٥٩ ـ ١٦١ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى بتصرف يسير .

(٢) بأى وسيلة من وسائل النشر من خطب أو دروس أو تأليف .

وولداً صالحاً تَركَه(١) ، أو مُصْحفاً وَرَّثَه ، أو مَسْجِداً بنَاه ، أو بَيْتاً لابنِ السَّبيل(٢) بنَاهُ ، أو نَهْراً أجراهُ ، أو صَدَقَةً أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته »(٣) رواه ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقى ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه بنحوه .

وعن قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **خَيْرُ مَا يَخْلُفُ(٤) الرجُلَ من بعده ثَلاَثٌ : ولدٌ صَالِح يدعُو له ، وصدقةٌ تَجرِى يَبْلُغُه أجرُهَا ، وعِلْمٌ يُعملُ به مِن بَعْدِه** »

رواه ابن ماجه بإسناد صحيح

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **إذا مات ابنُ آدَم انقطع عملُهُ إلاَّ مِن ثَلاَثٍ : صَدقَةٍ جَارِيَة ، أو عِلْمٍ يُنتَفَعُ بِهِ ، أو ولدٍ صَالحٍ يدعو له** » رواه مسلم

وأما عن الذين يموتون وهم كفار ـ الذين نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا منهم ـ فقد أشار الله تعالى إليهم فى قوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ**

---

(١) فيدعو له هذا الولد الصالح لأنه يعرف حق أبيه عليه بعد موته ، وهو الدعاء له بالمغفرة والرحمة .

(٢) وهو المسافر المنقطع عن ماله وبلده فيأوى إلى ذلك البيت للمبيت فيه .

(٣) يعنى : إذا حبس فى حال حياته عينًا لتجرى غلتها على الفقراء والمساكين .

(٤) يقال : خلفه يخلفه إذا بقى بعده ، والرجل بالنصب مفعول .

كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ أى : جحدوا نبوة محمد ﷺ ولم يُصدقوا ما جاءهم به من عند الله ، وماتوا على الكفر والجحود ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾ أى : فلن يُقبل من أحدهم عوض أبداً ، حتى ولو كان له من الذهب قدرَ ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها ﴿ أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى : عذاب مُوجع ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾(١) أى : ومالهم من قريب ولا حميم يُنقذهم من عذاب الله .

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ أى : إنما يتقبل الله التوبةَ ممَّن عَصَوا ربَّهُم حالَ جهالتهم وهم به مؤمنون ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ أى : ثم يتوبون سَريعاً قبل نزول الموت بهم ﴿ فَأُوْلَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أى : يتقبل توبتهم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أى : عليماً بالمُنيبين من عباده ، حكيماً فى أفعاله وتدبيره ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أى : وليست التوبة المقبولة عند الله للمُصرِّين على معاصى الله ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ ﴾ أى : حتى إذا حَشْرج أحدهم بنفسه وعاين ملائكة ربه لقَبْض رُوحه ، تاب وأناب ، فليس لهذا عند الله توبة ، لحديث : « **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرغر**(٢) » .

---

(١) سورة آل عمران : آية ٩١ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف يسير .

(٢) أى : ما لم يصبح فى سكرات الموت تبلغ الروح الحلقوم .. والحديث صحيح أخرجه الإمام أحمد .

﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ أى : وليست التوبة لمن ماتوا على الكفر ﴿ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1] أى : أعددنا لهم عذاباً موجعاً .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أى : إن الذين أنكروا توحيد الله ، وصدوا من أراد الإيمان بالله ورسوله عن ذلك ، ففتنوهم عنه ﴿ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ أى : ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرهم ﴿ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾[2] أى : فلن يعفو الله عما صنعوا ، بل يُعاقبهم .

فكن أخا الإسلام منتفعاً بكل هذا[3] . والله الموفق للصواب .

---

(١) سورة النساء : آية ١٧ ، ١٨ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف يسير .

(٢) سورة محمد : آية ٣٤ ، والتفسير من مختصر الطبرى .

(٣) حتى لا تكون من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات .. أو الذين يموتون وهم كفار (والعياذ بالله) .

(٣) الكَاذِبُونَ

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ أى : فمن جادلك فى المسيح بن مريم ، بعد الذى قد بينتهُ لك أنه عبد الله ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ أى : فقل هَلُمُّوا فلندع هؤلاء جميعاً ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾(١) أى : ثم نلتعن ـ أى ندع باللعنة ـ على الكاذبين منَّا ومنكم .

والمباهلة : أى الملاعنة ، وهى أن يخرج الفريقان بأبنائهم ونسائهم ، ثم يدعون باللعنة على الكاذب منهم ، وفى الحديث : « **لو خرج الذين يُباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً** » رواه أحمد.

هذا ، وإذا كان الكذب هو الأساس المُرهَّبُ منه فى نص الآية الكريمة التى ندور حولها .. فإننى أُذكِّر الأخ المسلم ، بما ورد فى السنة .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **عليكم بالصدق : فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة وما**

---

(١) سورة آل عمران : آية ٦١ ، مختصر تفسير الطبرى .

يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدقَ حتى يُكتب عند الله صِدِّيقًا(١) ، **وإياكم والكذبَ : فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجورَ يهدى إلى النارِ ، وما يزالُ العبدُ يكذب ويتحرَّى الكَذِبَ حتى يُكتَب عند الله كَذَّاباً** » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **آيةُ المنافقِ ثلاثٌ : إذا حَدَّثَ كَذَب ، وإذا وَعَد أخلَفَ ، وإذا عاهَد غَدرَ** » رواه البخارى ومسلم ، وزاد مسلم فى رواية له : « وإن صام وصلَّى وزعَم أنه مسلم » .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **أربع إذا كُنَّ فيك ، فلا عليكَ مما فاتك من الدنيا ، حفظُ أمَانَة وصدقُ حديثٍ ، وحُسْنُ خليقةٍ ، وعِفَّةٌ فى طُعْمَةٍ** »(٢) رواه أحمد والطبرانى بأسانيد حسنة.

فكن أخا الإسلام منتفعاً بكل هذا ، حتى تكون من الصادقين لا من الكاذبين .. بل وكن حريصاً على أن تكون مع الصادقين .. كما

---

(١) الصِّدِّيقية : مرتبة قبل مرتبة النبوة مباشرة .. كما أشار الله تعالى إلى هذا مرتين فى سورة مريم ، فقال تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ الآية ٤١ ، وقال ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ الآية ٥٦ .

(٢) الطعمة بالضم : وجه المكسب ، يقال : عفيف الطعمة ، إذا كان طيب المكسب ، وردىء الطعمة : إذا كان خبيث المكسب .

يأمرنا الله تعالى جميعاً بهذا فى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾(١) وذلك حتى تنتفع بأخلاقهم ، وتفوز بصُحبتهم فى الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى ـ فى جنة الخلد ـ والله ولى التوفيق .

(١) التوبة : ١١٩ .

obeikandl.com

(٤) الذِينَ كَفَرُوا بَعْد إيمَانهِمْ

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ أى : كيف يرشد الله ويوفق للإيمان ، قوماً جحدوا نبوة محمد ﷺ بعد تصديقهم به ؟ قال الحسن : هم اليهود والنصارى ، رأوا نعت محمد ﷺ فى كتابهم وأقرُّوا به ، ثم كفروا بعد إقرارهم ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾ أى: وعرفوا أن محمداً رسول الله ﷺ إلى الخلق ثم كفروا به ﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ أى : قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق رسالة محمد ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) ﴾ أى : والله لا يوفق للحق والصواب ، الظلمة الذين اختاروا الكفر على الإيمان ﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧)﴾ أى : ثوابهم على ما عملوا أن تحل بهم لعنة الله ـ أى إقصاؤهم وبعدهم عن رحمة الله ـ وأن تلعنهم الملائكة وجميع الخلق ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى : ماكثين فى عقوبة الله أبداً ﴿ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) ﴾ أى : لا يُنْقَصُون من العذاب شيئاً ولا يُمهَلُون لتوبة أو اعتذار ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ﴾ أى : إلا من تاب من ذنبه ، وأصلح عمله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩)﴾ أى : يستر ذنبه ويرحمه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ أى : كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم ﴿ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا ﴾

أى : بما أصـابوا من المعـاصى ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ أى : لن تقـبل توبتهم مـن الذنوب ، حتى يتوبوا من كـفرهم بمحـمد ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾[1] أى : هم الذين ضلُّوا سبيل الحق .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام .. وكن منتفعاً بما أشارت إليه الآيات من تنبيهات وتحذيرات .. حتى لا تكون من هؤلاء الضَّالِّين ـ والعياذ بالله ـ والله الهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) سورة آل عمران : آيات ٨٦ ـ ٩٠ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف .

obeikandl.com

(٥) الذينَ يشْترُونَ الضَّلالةَ. ويُحرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ويقولُونَ سمعْنَا وعصيْنَا

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ أى : ألم تر بقلبك يا محمد فتعلم حال اليهود ، الذين أُعطُوا حظاً من كتاب الله ﴿ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ ﴾ أى : يختارون الضلالة على الهدى ، بتركهم الإيمان وتكذيبهم لمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿ ويريدون أن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ أى : ويُحبون أن تضلوا يا معشر أصحاب محمد(١) عن سبيل الحق والهدى ، فتكونوا مثلهم ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ﴾ أى: والله أعلم منكم ، بعداوة هؤلاء اليهود لكم ، فلا تقبلوا نصيحتهم فتهلكوا ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ أى : حسبكم الله ولياً ، وحسبكم الله ناصراً يرعاكم وينصركم على أعدائكم ، فثقوا به وعليه توكَّلُوا ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ أى : هؤلاء الأعداء هم من اليهود ، الذين يبدلون الكلم فى التوراة عن أماكنه ووجوهه الصحيحة ـ أى يفسرونه بغير مراد الله عز وجل ـ ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ أى : ويقولون سمعنا يا محمد قولك ، وعصينا أمرك ﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ أى : اسمع منَّا لا

---

(١) بل ويا معشر أتباع محمد ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أسمعك الله (وَرَاعِنَا) أى : راعنا سمعك أى افهم عنا وأفهمْنَا ﴿ لَيًّا بألسنَتهم وطعناً فى الدين ﴾ أى : تحريكاً منهم بألسنتهم لتحريف معناه[1] وطعناً فى دين الله .. كانوا يسبُّون رسول الله ﷺ ويؤذونه بالقبيح من القول ، شَتماً له ، واستهزاءً ، فيقولون : اسمع لا سمعت ، وراعنا ، يقصدون الدعاء عليه بالصَّمَم ، والرعونة وهى كلمة مَسَبَّة عند اليهود ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ أى : ولو أن هؤلاء اليهود قالوا : سمعنا يا محمد قولك ، وأطعنا أمرك ﴿ واسمع وانظُرنا ﴾ أى : واسمع منا ما نقول ، وانتظرنا حتى نفهم ما تقول لنا ﴿ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ أى: لكان ذلك خيراً لهم عند الله ، وأصوب وأعدل فى القول ﴿ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ أى : ولكن أخزى الله اليهود ، فطردهم وأبعدهم عن رحمته ، بجحودهم نبوة محمد ﷺ ، وما جاءهم به من الهُدى والبينات ﴿ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[2] أى : فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً.. أى : إيماناً غير نافع لهم عند الله ، كإيمانهم بموسى ـ عليه السلام ـ واعتقادهم بأنهم أحباب الله .. الخ .

قاتل الله اليهود الملاعين .. الذين هم أساس الفساد والإفساد والكفر والإلحاد .. وأعاننا الله عليهم .. حتى نُطَهِّر الأرض منهم ومن شرورهم وحتى يعود الأمن والأمان ، والسلام والوئام .. إلى كل مكان على وجه الأرض .. اللهم آمين .

---

(١) اللَّى : الفتل ، أى يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل .

(٢) سورة النساء : آية ٤٤ ـ ٤٦ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير

(٦) أَصْحَابُ السَّبْتِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ أى : يا معشر اليهود آمنوا بما نَزَّلنَا على محمد ﷺ من القرآن ، مُصَدِّقاً لما معكم من التوراة ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾أى: من قبل أن نطمس أبصارها ونمحو آثارها حتى تصير كالأقفاء(١) ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ أى : أو نخزيهم فنمسخهم قردةً كما فعلنا بالذين اعتدوا فى السبت ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾(٢) ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾(٣) أى : ولا يمتنع عليه شئ مما أراده .

ولقد أشار الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة(٤) ، فقال : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ أى : ولقد عرفتم الذين اجترأوا على مخالفة أمرى فاصطادوا يوم السبت ، عرفتم ماذا فعلتُ بهم ، ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ أى : فقلنا لهم : صيروا قردة ،

---

(١) المراد : أن نطمس منها حواسها فلا نبقى لها سمعاً ، ولا بصراً ، ولا أنفاً ، وروى عن ابن عباس أن المراد بالآية أن يجعل وجوههم من قِبَلِ أقفيتهم فيمشون القهقرى .

(٢) البقرة : ٦٥ .

(٣) النساء : ٤٧ (مختصر تفسير الطبرى) .

(٤) الآية رقم : ٦٥ ، ٦٦ .

أذلاء صُغراء ، مُبعدين مُطردين ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ أى : فجعلنا تلك المسخة التى مسخناهُمْ بها ، عقوبة لما سبق من ذنوبهم السَّالفة ، ولمن بقى بعدهم أن يعملوا بمثل ما عملوا ، فيُمسَخُوا بمثل ما مسخوا ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ أى : وتذكرة للمتقين وعبرة للمؤمنين ، ليتعظوا بها ويعتبروا .

كما قال تعالى فى سورة النساء ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ ﴾(١) أى : ورفعنا فوقهم جبل الطور ، بما أعطوا الله الميثاق والعهد ، على العمل بما فى التوراة ﴿ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ﴾ أى : ادخلوا باب « بيت المقدس » ساجدين شكراً لله ، فبدَّلوا ودخلوا يزحفون على مقاعدهم(٢) ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾ أى : لا تتجاوزوا أمر الله فتصطادوا يوم السبت ، فخالفوا واصطادوا ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ أى : عهداً شديداً مؤكداً ، على العمل بما فى التوراة .

وقال تعالى فى سورة الأعراف(٣) :

﴿وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ . أى : اسأل اليهود

---

(١) الآية : ١٥٤ .

(٢) روى البخارى أن بنى إسرائيل قيل لهم : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا : (حبة فى شعرة) وفى رواية : حنطة .

(٣) الآية : ١٦٣ .

يا محمد ـ سؤال تقرير وتوبيخ ـ عن أمر القرية[1] ، التى كانت بقرب البحر وعلى شاطئه ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ أى : إذ يعتدون أمر الله يوم السبت ، ويتجاوزونه إلى ما حرم الله ، فيصطادون فيه السمك ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾ أى : حين تأتيهم الأسماك ، يوم السبت الذى نُهوا عن العمل فيه[2] ، ظاهرة على الماء من كل مكان ﴿ وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ ﴾ أى : وفى غير يوم السبت لا تأتيهم الحيتان ﴿ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ أى : كذلك نختبرهم ـ بإظهار السمك على ظهر الماء ، فى اليوم المحرم عليهم صيده ، وإخفائه عنهم في اليوم المُحلل صيده ـ بسبب فسقهم عن طاعة الله ، وخروجهم عنها[3] .

وقال فى سورة النحل[4] :

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ أى : ما جعل الله تعظيم يوم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه ـ وهم اليهود ـ اختاروا

---

(١) قال ابن كثير : هذه القرية هى (أيلة) وهى على شاطئ بحر القلزم ، وقيل هى (مدين) .

(٢) كانت الأسماك تخرج من البحر يوم السبت ، وتظهر قريبة منهم كثيرة ابتلاء لهم ، إذ كان صيدها عليهم حراماً ، وتغيب عنهم سائر الأيام .

(٣) هؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله فعاقبهم تعالى بأنواع العقاب الأليم .

(٤) النحل : ١٢٤ .

السبت وتركوا يوم الجمعة[1] ، الذى فرض الله عليهم تعظيمه ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أى : وإن ربك **يا محمد** ليفصل بينهم يوم القيامة بحكمه العادل ، فيجازى كُلاً بما هو أهله .

لاحظ كل هذا أخا الإسلام .. حتى تعرف ألاعيب اليهود وما جُبلوا عليه .. من يوم أن خلقهم الله تبارك وتعالى .. ولسوف يظل هذا هو حالهم مع المسلمين خاصة ، والعرب (عامة) إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. وإلى أن يقول الحجر فى آخر الزمان : « **يا مسلم ورائى يهودى فاقتله**»[2] .

والله المستعان عليهم وعلى شرورهم .

---

(١) إنما اختار اليهود السبت ليكون عيداً لهم ، لأنه على زعمهم يوم استراحة الرب ، حيث قالوا : إن الله فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة ، ثم استراح يوم السبت ، فنحن نعظم هذا اليوم لأنه يوم استراحة الرب جل وعلا . تعالى الله عما يقولون عُلُوّاً كبيراً .

(٢) فقد ورد في السنة أن هذا من علامات الساعة الصغرى ، والحديث ورد بنحو هذا فى البخارى ومسلم .

(٧) الملعُونُ إبليسُ

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا ﴾ أى : ما يدعون بعد الله وسواه إلا أوثاناً سَمَّوهُا آلهةً ، كاللاَّت والعُزَّى ومَناة ، فحسبُ هؤلاء ضلالاً أنهم يعبدون إناثاً ويدعونها آلهة وأرباباً ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ أى: وما يدعون إلا شيطاناً متمرداً على الله ﴿ لَّعَنَهُ اللَّهُ ﴾ أى : أخزاه وأبعده عن رحمته ﴿ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ﴾ أى : وقال الشيطان لربه حين لعنه : لأُضِلَّنَّ من عبادك عدداً وافراً معلوماً ، بتزيين الكفر والضلال لهم حتى يتبعونى ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ أى : ولأضلَّنّهم عن مَحجَّة الهُدى ، ولأُزيغَنّهُم عن طاعَتك بالأَمانى ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ ﴾ أى : ولآمرنهم بتشقيق آذان الأنعام بحيرة لطواغيتهم . قال قتادة : كانوا يشقون آذانهم لطواغيتهم ، كما شرع لهم إبليس ﴿ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ بالخِصَاء ، والوشْم وغير ذلك ـ كإطالة الأظافر وطليها بالمناكير(١) ، وتكديس الشعور المستعارة(٢) ، واستعمال « المكياج »

---

(١) أى المونوكير .

(٢) كالباروكة .

الذى يجعل العجوز الشمطاء صبية هيفاء[1] ، وفى الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه : « **لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلّجات للحسن المغيِّرات خَلْقَ الله** » ، والنامصة : التى تنتف الشعر من الوجه ، والمتفلّجة : التى تبرد أطراف أسنانها للتجميل ... كما ظهر فى هذا الزمان المأسوف عليه ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ أى : ومن يتبع الشيطان فيطيعه فى معصية الله ، ويتخذه نصيراً من دون الله ﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ أى : فقد خسر خسارةً فادحة لمصيره إلى النار المؤبدة ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ أى : يعدهم الشيطان بالنُّصرة والدفاع عنهم ، ويمنيهم بالظَّفر على خُصُومهم ، وما يَعِدُهُم إلاَّ بَاطِلاً ﴿ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾[2] أى: أولئك مصيرهم الذى يصيرون إليه جهنم ، ولا يجدون عنها معدلاً ولا مهرباً .

فإذا كان هذا هو شأن الشيطان مع عباد الله من يوم أن حكم الله تعالى عليه بالإغواء .. ومن يوم أن قال الله تبارك وتعالى له ولأبوَينا :

---

(١) وهذا ضرب من الخداع المحرم .

(٢) النساء : ١١٧ ـ ١٢١ .

﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾(١) .فإنَّ هذا معناه أن الشيطان الأكبر وأتباعه من الإنس والجن يعملون ليلاً ونهاراً على إغوائنا .. حتى نكون معهم من أصحاب السعير .. فلنكن على علم بكل هذا .. حتى نجاهده ونجاهد أتباعه بكل صدق وإيمان .. والله المستعان .

---

(١) البقرة : من الآية ٣٦ .

obeikandl.com

(٨) الذِينَ ينقضُونَ المِيثَاقَ

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ أى : أخذ الله عهودهم المؤكدة على الوفاء لله بطاعته والإيمان برسله ، وأرسل منهم اثنى عشر كَفيلاً من رؤسائهم ، ليكفلوا قومهم على الوفاء بالعهود والمواثيق ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ أى : وقال الله لهم : إنى معكم بالعون والنصر ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ﴾ أى : وأُقْسِمُ لئن أقمتم يا معشر بنى إسرائيل الصلاة ، وأعطيتُم الزكاةَ لُمستحقِّيهَا ﴿وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ أى : وصدَّقتُم برسلى ونصرتموهُم ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ أى : وأنفقتم فى سبيل الله وابتغاء مرضاته ﴿ لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ أى : لأمحُونَّ عنكم ذنوبكُم ﴿ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ أى : ولأُدخلنكم يوم القيامة بفضلى بساتين ، تجرى من تحت أشجارها أنهار الجنة ﴿ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ(١٢) ﴾ أى : فمن جحد نعمة الله منكُم ، بعد ذلك العهد والميثاق ، فقد أخطأ قصد الطريق الواضح ، وزَلَّ عن منهج الهداية والسداد .. والآية إعلامٌ من الله جَلَّ

وعلا لنبيه ﷺ وللمؤمنين ، ما عليه اليهود من الغدر ونقض العهد ، وأن ذلك من أخلاقهم وأخلاق أسلافهم قديماً وحديثاً ، وتوبيخٌ لليهود في تماديهم في الغيِّ والضلال ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ أى : فبسبب نقضهم الميثاق الذى أخذ عليهم ، طردناهم وأبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ أى : جعلنا قلوبهم غليظةً يابسةً ، لا تلين لموعظة ، قد نُزعت منها الرأفةُ والرحمة ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ أى : يُحرفون كلام ربِّهم ـ التوراة ـ فيبدلونه ويُغَيِّرونه ، ويكتبون بأيديهم غيرما أنزل الله ، ثم يقولون لجُهَّال النَّاس : هذا هو كلام الله ﴿ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أى : وتركوا نَصيباً من أوامر الله وأحكامه فلم يعملوا بها ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾ أى : ولا تَزالُ تَطَّلِعُ يا محمد من اليهود على خيانة وغدرٍ ، ونقضٍ للعهد ، إلا قليلاً منهم لم يخونوا ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ أى : فَاعْفُ يا محمد عن هؤلاء اليهود ، واصفح عن جُرمهم وكيدهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أى : يُحبُّ من أحسن فَعَفَا وصفح عَمَّنْ أساء إليه ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ﴾ أى : ومن الذين ادَّعوا أنهم نصارى ، أخذنا كذلك عهدهم المؤكد لطاعتى ، واتباع رسلى ، فسلكوا منهاج الأُمَّة الضالة من اليهود ، فبدَّلوا دينهم ،

ونقضوا عهدهم ﴿ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أى : فتركوا نصيباً وافراً من أوامر الله وتشريعه فلم يطبقوها ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ أى : فألقينا بين النصارى العداوة والبغضاء ، وحَرَّشنا بينهم باتباع الأهواء ـ لتركهم كتاب الله ، وتضييعهم فرائضه ، وتعطيلهم حدوده ـ ولا يزالون كذلك مُتَعادين مُتباغضين إلى قيام الساعة ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾(١) أى : وسوف يخبرهم الله في الآخرة بإجرامهم فى الدنيا ، ويعاقبهم على ما ارتكبوه من الكذب على الله ورسوله .

فلننتفع جميعاً ـ نحن المؤمنين ـ بهذا الدرس القرآنى حتى لا نكون كهؤلاء الملاعين الذين ينقضون الميثاق .. ولنكن على عكس هذا من المؤمنين الصادقين الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى آية البر فقال: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾(٢) ، كما قال : ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾(٣) ، وقال : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾(٤) .

---

(١) المائدة : ١٢ ـ ١٤ .

(٢) البقرة : من الآية ١٧٧ .

(٣) الرعد : ٢٠ .

(٤) المؤمنون : ٨ ، والمعارج : ٣٢ .

وحسبنا أننا عندما سنكون من المتخلقين بهذا الخلق الكريم سنكون قد نفذنا أمر الله تعالى فى قوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ (١) وقوله : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾(٢) .

والله ولى التوفيق .

(١) النحل : من الآية ٩١ .

(٢) الإسراء : من الآية ٣٤ .

obeikandl.com

(٩) مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عليه

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا ﴾ أى قل لهم : يا معشر اليهود والنصارى هل تكرهون منا أو تعيبون علينا ﴿ إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾ أى : إلا إيماننا وتصديقنا بوحدانية الله ، وبالقرآن الذى أُنزلَ علينا ، وبالكُتب التى أُنزلت على أنبياء الله من قبلنا ؟ ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ أى : وبأن أكثركم خارجون عن طاعة الله تعالى ؟ ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ ﴾ أى : هل أُخبرُكُم بشَرٍّ مما تعيبون به علينا من الإيمان بالله ، والتصديق بكتبه ورسله ؟ ﴿ مَّثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ﴾ أى : جزاءً وثواباً عند الله ﴿ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ ﴾ أى : مَن أبعده الله وطرده من رحمته ﴿ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ أى : وسخط عليه فعجَّل له الخزىَ والنكال فى الدنيا ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ أى : ومسخ بعضهم قردة ، وبعضهم خنازير ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ أى : وجعل منهم مَن عبد الشيطان والأوثان .

﴿ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾[1] أى : هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الشنيعة ، شَرٌّ منزلة ممَّن نقمتم عليهم

---

(١) المائدة : ٥٩ ، ٦٠ (مختصر تفسير الطبرى) .

يا معشر اليـهود ، وأبعد عن سبيل الرشد والهـدى .. وفيه تعريض باليهود ، بإخـبارهم بقبيح فِـعالهم ، وذميمِ أخلاقِـهِم ، كأنه يقول : أهؤلاء المؤمنون الذين تستهزئون منهم شَرٌّ ، أم من لعنه الله ؟

فلنعتبر بهذا الدرس القرآنى .. الذى يوضح لنا لماذا لعن الله هؤلاء اليـهـود وغَـضِـبَ علـيهـم وجعـل منهم القـردة والخنازير وعـبـد الطاغوت ...

نسأل الله تـعالى أن يُعافـينا جمـيعـاً من قبـيح الأفعـال ، وذميم الأخلاق ، التى كانت سبباً فى لعنهم ومسخهم .. اللهم آمين .

(١٠) الذِينَ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعلُوهُ

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أى : أبعد الله اليهودَ ، وطردهم من رحمته ولعنهم ﴿ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ أى : على لسان أنبيائه ورسله ، فى الزبور والإنجيل ، قال ابن عباس : لُعنُوا بكل لسان ، لُعِنُوا على عهد موسى فى التوراة ، ولُعِنُوا على عهد داود فى الزبور ، ولعنوا على عهد عيسى فى الإنجيل ، ولعنوا على عهد محمد فى القرآن ﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ أى : ذلك اللعن بسبب عصيانهم لأوامر الله ، ومجاوزتهم حدوده ﴿ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ أى : كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً عما يفعله من المعاصى ، وركوب المحارم ، وقتل الأنبياء والرسل ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾(١) أى: بئس فعلهم وصنيعهم ، تركهم النهى عن معاصى الله ومحارمه .

فلنأخذ درساً من هذا .. حتى لا نكون كهؤلاء الملعونين على كل لسان .. لأنهم : ﴿ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ ، ولنكن على عكس هذا ، من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر تنفيذاً لأمر الله تبارك وتعالى فى قوله :

---

(١) المائدة : ٧٨ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أى : يأمرون بالإيمان بمحمد ودينه ، وينهون عن الكفر بالله والتكذيب برسوله(١) ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢) أى : الفائزون فى جناته ونعيمه .

ونحن أساساً ما جعلنا الله تعالى خير أمة أُخرجت للناس إلا لأننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أى : كنتم يا أتباع محمد خير الأمم وأكرمها على الله ، وخير الناس للناس ... قال عمر : من سرَّه أن يكون من تلك الأمة فليؤدِّ شرط الله منها ـ وهو الإيمان بالله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٣) .

وقد مدح الله تبارك وتعالى المؤمنين والمؤمنات فقال : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أى : بعضهم أنصار بعض وأعوانهم ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أى : يأمرون الناس بالإيمان

---

(١) قال فى هامش التفسير : المعروف كل ما استحسنه الشرع من قول وعمل ، والمنكر كل ما استقبحه الشرع من قول وعمل ، وما ذكره الشيخ الطبرى نوع من أنواع المعروف والمنكر ، فهو للتمثيل لا للتعريف .

(٢) آل عمران : ١٠٤ (مختصر تفسير الطبرى) .

(٣) آل عمران : من الآية ١١٠ .

بالله ورسوله وبما جاء من عند الله ، وينهونهم عن الكفر بالله ورسوله ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ أى : ويُؤدون الصلاة المفروضة على الوجه الأكمل ، ويُعطون الزكاة لمستحقيها ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أى : فى كل أمرٍ ونَهْيٍ ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ أى : هؤلاء سيرحمهم الله ، فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[1] أى : عزيز فى انتقامه ممن عصاه ، حكيم فى جميع أفعاله .

فلنكن إن شاء الله تعالى من المؤمنين المشار إليهم في الآية السابقة ، لا من المنافقين المشار إليهم فى قول الله تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ أى : يأمرون بالكفر بالله ورسوله ، وينهون الناس عن الإيمان بالله ورسوله ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أى : ويُمسكُون أيديهم عن الإنفاق فى سبيل الله ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ أى : تركوا طاعة الله ، فتركهم من رحمته وهدايته .

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2] أى : هم الخارجون عن طاعة الله .. نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا منهم ، اللهم آمين .

---

(١) التوبة : ٧١ .

(٢) التوبة : ٦٧ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف .

(١١) الظَّالِمُونَ
الذِينَ يصدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ويَبْغُونهَا عِوجًا

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ أى : ونادى أهلُ الجنة أهلَ النَّار ، فقالوا : لقد وجدنا ما وعدنا ربنا من النعيم والكرامة حقاً ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ أى : فهل وجدتم ما وعدكم ربُّكُم من العقاب حقاً ؟ ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ أى : فأجابهم أهل النار : نعم لقد وجدنا كذلك ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ أى : فنادى مناد بين أهل الجنة والنار ، أنَّ غضب الله وسَخَطهُ على مَن كَفَر به .. ثم فَصَّلهم ـ بعد ذلك ـ بقوله : ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أى : الذين يمنعون الناس من الدخول فى دين الله ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوجًا﴾ أى : ويطلُبون أن يُغَيِّرُوا الدينَ ويُبَدِّلُوه عن استقامته ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾(١) أى : وهم بلقاء الله وثوابه وعقابه جَاحِدُون .

فلنحذر الوقوع فى هذا الإثم الكبير الذى استحقُّوا عليه لعنة الله .. وهو الظلم .. الذى بيَّن الله تبارك وتعالى بعد ذلك أهَمَّ

---

(١) الأعراف : ٤٤ ، ٤٥ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

مواصفـاته التى ينبغى علينا نحن المؤمنين بصـفة خاصة أن نبـتعد عنها ، وعـن جميع الأسـباب الموصلة إليـها حتـى نكون إن شاء الله تبارك وتعالى من أهل الجنة لا من أهل النار .. قال تعالى :

﴿ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾(١) .

نسـأل الله تعالـى أن يجعلنا مـن أصحـاب الجنَّةِ حـتى نكون من الفائزين .. اللهم آمين .

(١) الحشر : ٢٠ .

(١٢) الذِينَ افتَرَوْا علَى اللهِ كَذِباً

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أى : أىُّ الناس أشدّ عذاباً ممن اختلق الكذب على الله ؟ ﴿ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أى : ليسألهم عَمّا عَمِلُوا فى الدنيا ﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أى : وتقول الملائكة والأنبياء[١] الذين شهدوا أعمالهم : هؤلاء الذين كذبوا فى الدنيا على رَبِّهم ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ أى : ألاَ غَضَبُ الله على الكافرين ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ أى : الذين يَردُّون الناسَ عن الإيمان ويفتنونهم عن دينهم ، ويلتمسون أن تكون سبيل الله ـ الإسلام ـ زيغاً وميلاً عن الاستقامة ﴿ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ أى : وهم جاحدون بالبعث بعد الموت ، مُنكرون له ﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أى : هؤلاء المشركون فى قبضة الله ومُلكه ، لا يعجزون ربهم هرباً ، ولا يفوتونه طلباً ، إذا أراد عقابهم والانتقام منهم ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أى : وليس لهم أنصار ينصرونهم من دون الله ،

---

(١) قال فى الهامش : هذا قول مجاهد والضحاك واختاره الطبرى ، وقيل : الأشهاد الخلائق كلهم .

ويحولون بينهم وبين عقابه ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ أى : يُزَاد عذابُهُمْ ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ أى : كانوا لا يستطيعون أن يسمعوا الحقَّ سماع منتفع ، ولا يبصرونه إبصار مُهتَد ، لاشتغالهم بالكفر عن طاعة الله ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أى : هؤلاء الذين خسروا أنفسهم لأنهم أدخلوها ناراً حامية ، وذهبت عنهم الأنداد والأصنام فلم تغن عنهم شيئاً ، وبطل كذبهم وإفكهم على الله ، بادعائهم له شركاء .

﴿لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] أى : حقّاً إن هؤلاء القوم هم الأخسرون ، لأنهم باعوا منازلهم فى الجنان بمنازل أهل النار .

فلننتفع كذلك بهذا الدرس القرآنى . حتى لا نكون والعياذ بالله من هؤلاء الظالمين الذين افتروا على الله كذباً .. وحسبنا تحذيراً لنا قول الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[2] .

وقد ورد كذلك فى السنة التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ :

---

(١) هود : ١٨ ـ ٢٢ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير.
(٢) الزمر : ٦٠ .

عن أبـى هريـــرة رضى الله عنه عن رســول الله ﷺ أنـــه قـال : « **من كذبَ علىَّ مُـتَعَمِّـداً فليتـبوَّأ مَقْـعَدَهُ من النار** » رواه البـخارى ومسلم وغيرهما ، وهذا الحديث قد روى عن غير واحد من الصحابة فى الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر .

فلنجعل كل هذا التذكير والتحذير نُصْبَ أعيننا حتى لا نكذب على الله ورسوله الذى يُبلِّغُ عنه .

والله الموفق للصواب .

obeikandl.com

(١٣) قَوْمُ هُودٍ عليهِ السَّلامُ

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ أى : وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هوداً ، فقال : يا قوم اعبدوا الله وحده ، فليس لكم معبود يستحق العبادة غيره ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أى : ما أنتم فى إشراككم الأوثان مع الله ، إلا أهل فرية ، تختلقون الباطل على الله ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ أى : لا أسألكم على ما أدعوكم إليه جزاءً وثواباً ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ أى : ما ثوابى إلا على الذى خلقنى ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ أى : أنِّى لو كنتُ أبتغى غير النَّصيحَة لكم ، لالتمستُ بعضَ أعراضِ الدنيا ؟ ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ أى : استغفروا ربكم من الإشراك ، ثم توبوا إليه من سالف الذُّنوب ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ أى : يرسل عليكم المطر متتابعاً ، تحيا به بلادكم من القحط والجدب ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ أى : ويَزِدْكُم شدةً فوق شدَّتكم ، وقوةً مع قوتكم ﴿ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ أى : ولا تُدبروا عما أدعوكم إليه كافرين بالله ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ أى : ما أتيتنا ببيان وبرهان ، حتى نُقرَّ لك بالنبوة ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾ أى : ولسنا بتاركى آلهتنا من أجل قولك ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ أى : ولسنا

بمصدقين لك بما تَدَّعى من النبوة والرسالة ﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ أى : ما نقول إلا أصابك بعضُ آلهتنا ـ يَعنُون الأوثان ـ بجنون وخَبل فى عقلك ، بسبب ذَمِّكَ لها ونهيكَ عن عبادتها ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ﴾ أى : قال لهم هود : إنى أُشْهِدُ الله على نفسى وأُشهدكم أيضاً أنِّى بَرِيءٌ مما تُشركُونَ من دونه من آلهتكم وأوثانكم ، التى تعبدونها من دون الله ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾ أى : فاحتالوا أنتم وآلهتكم فى إيذائى وضُرِّى ، ثم لا تؤخِّرون إن قدرتم ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ﴾ أى : إنى اعتمدت على الله ، مالكى ومالككُم ، من أن تُصيبُونى بسوء ﴿ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ أى : ما من شئ يدبُّ على الأرض إلا والله مالكُه ، وهو فى قبضته وسلطانه وهو ذليل خاضع ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ أى : إن ربى على طريق الحق ، يُجازى المحسنَ بإحسانه والمسئ بإساءته ، ولا يظلم أحداً ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ﴾ أى : فإن أعرضتم عن دعوتى ، فقد أبلغتُكم رسالة ربى ، وما على الرسول إلا البلاغ ﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أى : يُهْلِكُكُم ثم يستبدل ربى قوماً غيركم ، يُوَحِّدُونه ويخلصون له العبادة ﴿ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ﴾ أى : ولا تضرون ربَّكُم إذا أهلككُم ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾

أى : حافظ لجميع خلقه ، وهو الذى يحفظنى من أن تنالونى بسوء ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴾ أى : ولما جاء أمرنا بالعذاب ، نجينا هوداً والذين آمنوا بالله ، بفضل منَّا عليهم ونعمة ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ أى : ونجَّيناهُم من السَّخَط والعذاب النازل بعاد ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴾ أى : وهؤلاء عادٌ الذين أحْلَلْنَا بهم نقمتنَا وعذابنا ، جحدوا بحُجَج الله الدالة على وحدانيته ، وعصَوْا رُسُلَ الله ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ أى : واتّبعوا أمرَ كُلِّ مُستكْبِر على الله ، مُشْرك مُعاند لربه ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى : وتبعهم سَخَطٌ منَ الله ولعنة فى الدنيا والآخرة ﴿ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾ أى : جَحَدوا وحدانيةَ الله .

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾(١) أى : أبعدهم الله من الخير .

فهؤلاء هم عادٌ قومُ هود عليه السلام الذين استكبروا .. ﴿وجَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ فكانَ جَزاؤُهم هو الطرد من رحمة الله فى الدنيا والآخرة .. وكان عقابُ الله تعالى لهم ، هو ما أشار الله تعالى إليه فى سورة الحاقة حيث يقول سبحانه :

---

(١) هود : ٥٠ ـ ٦٠ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أى : وأما **عَادٌ** قوم **هود** ، فأهلكهم الله بريح شديدة فى الهبوب والبرد ﴿عَاتِيَةٍ﴾ أى قد عتَتْ فجاوزت الحدَّ فى الشدة والعصوف ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أى : سخر تلك الرياح على عَادٍ سبع ليال ، وثمانية أيام مُتتابعة ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ أى : فترى يا **محمد** قوم **عاد** فى تلك الليالى والأيام قد هلكوا ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ أى: كأنهم أصولُ نخل ، مُتَآكِلَة الجوف قد خوت ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾(١) . أى : فهل ترى يا محمد لقوم هُود من بقاء ؟

وهكذا إخوة الإسلام يكون جزاء المفْتَرين الظالمين الذين لا بُدَّ وأن تتعظ بما حدث لهم . حتى لا نفعل كما فعلوا .. وحتى لا يَحدث لنا ما حدث لهم .. وهذا هو الهدف الأسمى من ذكر قصص القرآن كما يُشير إلى هذا رب العزة سبحانه وتعالى فى قوله لحبيبه **المصطفى** صلوات الله وسلامه عليه : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٠﴾(٢) الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم .. اللهم آمين .

---

(١) الحاقة : ٦ ـ ٨ (مختصر تفسير الطبرى) .

(٢) هود : ١٢٠ .

(١٤) فِرْعَوْنُ وأتباعُه

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ ﴾ أى : أرسلناه بأدلتنا وحُجَّتِنَا الظاهرة ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾ أى : إلى أشراف جنده وأتباعه ، فأطاعوا أمر فرعونَ وكذبوا موسى ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ أى : وليس فى قول فرعون ولا عمله رُشْدٌ ولا هُدى ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ أى : يقود فرعون قومه فيمضى بهم إلى النار ، حتى يُدخِلَهُم فيها ويُصليهم سعيرها ﴿ وَبِئْسَ الْوِرْدُ (١) الْمَوْرُودُ ﴾ أى :وبئس الدخول الذى يدخلونه نار جهنم ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً ﴾ أى : وأتبعهم الله فى هذه الدنيا مع العذاب لعنته ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى : ويوم القيامة يُلْعَنُون لعنةً أخرى ، قال مجاهد : زيدوا لعنة أخرى فتلك لَعْنَتان ﴿ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾(٢) أى : بئس العون المعان ، لعنة الدنيا والآخرة ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ﴾ أى : هذا القصص الذى أنبأناك عنه يا محمد ، من أخبار القرى المُهلكَة نقصُّه عليك ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾

---

(١) الورد : الدخول

(٢) الرِّفد : العون ، فقد أصابتهم لعْنتان ، لعنة فى الدنيا ولعنة فى الآخرة ، رفدت إحداهما الأخرى .

أى : منها ـ مَن ـ بنيانه عامر ، ومنها ـ من هو ـ خراب دائر ، قال **قتادة** : منها قائم يُرى مكانه ، ومنها حصيد لا يُرى له أثر ﴿ **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ** ﴾ أى : وما عاقبناهم بغير استحقاق للعقوبة ، فنكون قد ظلمناهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم ومعصيتهم لله ، فأوجبوا لها العقوبة والعذاب ﴿ **فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ** ﴾ أى : فما دفعت عنهم آلهتهم من عقاب الله وعذابه شيئاً ﴿ **لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ** ﴾ أى : لَمَّا جاء قضاؤه بعذابهم ﴿ **وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)** ﴾ أى : وما زادوهم غير تخسير وتدمير ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ** ﴾ أى : وكما أخذت أهل تلك القرى بالعذاب ، فكذلك أخذى أهل القُرى إذا أخذتهم بعقابى وهم ظلمة ﴿ **إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ أى : إن عقابه موجعٌ شديد الإيجاع ، وهذا تحذير لهذه الأمة ، أن يسلُكُوا طريقَ مَن قبلهُم من الأمم الفاجرة . فيَحلُّ بهم مَا حَلَّ بهم من العقوبات ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ** ﴾ أى : إن ما ذُكرَ لعبرة وموعظة . لمن خاف عقاب الله ، وعذابه فى الآخرة ﴿ **ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣)** ﴾[1] أى : وهذا اليوم ـ يوم القيامة ـ يوم حق ، يجمع له الناس للجزاء والثواب والعقاب ، وهو يوم تشهده الخلائق كلهم ، لا يتخلف منهم أحد .

---

(١) هود: ٩٦ ـ ١٠٣(مختصر تفسير الطبرى) .

وهذا كذلك درس قرآنى ينبغى علينا نحن المؤمنين ـ بصفة خاصة ـ أن ننتفع به ، حتى لا نصاب بمثل هذا العذاب الذى حَلَّ بأهل القرى الظالمة .. فضلاً عن الذى حدث لفرعون وجنوده وأتباعه .. كما يشير الله تبارك وتعالى إلى هذا فى قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ (١) حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ (٢) قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ(٣) ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٤) ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ (٥) الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا (٦) ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٧) .

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الدرس القرآنى حجة لنا لا علينا .. آمين ..

---

(١) أى : البلاد .
(٢) أى : طائفة قليلة .
(٣) أى : كاملو السلاح مجمعون لأمرنا .
(٤) أى : حين أشرقت الشمس .
(٥) أى : الجبل العظيم .
(٦) أى : قربنا هنالك .
(٧) الشعراء : ٥٢ ـ ٦٨ .

(١٥) الذينَ يَنقُضُون عهْدَ الله منْ بعْد ميثاقِه ويقْطعُونَ مَا أمر اللهُ بِهِ أنْ يُوصلَ ويُفسِدُونَ فِى الأرْضِ

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ(١) (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢)(٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ (٣) وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ (٤) وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ (٥) أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ (٦) وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾(٧) :

---

(١) أى : أهل العقول .

(٢) أى : الذين يوفون بوصية الله ، ولا يخالفون العهد الذى عاهدوا الله عليه .

(٣) أى : يصلون الرحم فلا يقطعونها .

(٤) أى : طلباً لمرضاة الله .

(٥) أى : يدفعون إساءة مَن أساء بالإحسان إليهم .

(٦) أى : جنات إقامة يدخلونها هم ونساؤهم وأهلوهم وذرياتهم .

(٧) الرعد : ١٩ ـ ٢٤ .

ثم بعد ذلك يُحدثنا الله سبحانه وتعالى عن عكس هؤلاء ، فيقول : ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ أى : والذين ينقضون عهد الله ، من بعد ما عاهدوه على الطاعة ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ أى : ويقطعون الرحم التى أمرهم الله بوصلها ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ أى: بالعمل بمعاصى الله ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ﴾ أى : الطرد من رحمته ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ أى : ولهم ما يسوءهم فى الآخرة .

فلننتفع بهذا التذكير القرآنى .. الذى يوقفنا الله تعالى من خلاله على مصير أولى الألباب الذين : ﴿ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ ، وعلى مصير الآخرين ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ فكان جزاؤهم الطرد من رحمة الله ، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾(١) .

فلنكن إن شاء الله تعالى من الصنف الأول ، لا من الصنف الثانى.. حتى نكون من أهل الجنة ، لا من أهل النار .

والله ولى التوفيق .

---

(١) الرعد : ٢٥ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

(١٦) لعنةُ إبليسَ .. ومَا ترتَّب عليهَا مِنْ إغواءِ لِمنِ اتبعَهُ مِنَ الغَاوِينَ ..

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ ﴾ أى : خلقنا آدَم من طين يابس ، إذا نقرته سمعتَ له صلصلةً أى صوتاً ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) ﴾ أى : من طينٍ مُتَغَيِّرٍ إلى السَّوَاد ، قال ابن عباس : « مسنون » مُنْتِنٍ ، وقال قتادة : قد تغيَّر وأنتن ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ﴾ أى : وخلقنا إبليس من قبل الإنسان ﴿ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ أى : من لهب النار وهي نار السموم التى تقتل ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ أى : اذكر حين قال ربك للملائكة ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) ﴾ أي : إنى سأخلق إنساناً من طين متَغيِّر مُنْتِنٍ ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ أى : فإذا صَوَّرْتُه وعدَّلْت صورته ، ونَفَخْتُ فيه من روحى[1] ، فصار بشراً حَيّاً ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) ﴾ أى : فاسجدوا له ، سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) ﴾[2] أى : فسجدت الملائكة لآدم كلهم جميعاً ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ

---

(١) الإضافة (من روحى) للتشريف والتكريم ، مثل : ناقة الله ، وبيت الله .

(٢) قال فى هامش (مختصر تفسير الطبرى): قوله : (أجمعون) توكيد بعد توكيد ، وأما قوله : (إلا إبليسَ) فإنه استثناء منقطع ، أى لكن إبليس لم =

أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ أى : إلا إبليس أبى أن يسجد - لآدم تكبراً وحسداً ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أى : ما منعك من أن تكون مع الساجدين ؟! ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ أى : قال إبليس: لا يصح لى أن أسجد لبشر ، خلقته من طين يابس مُتغيِّر ، وأنا من نار والنار تأكل الطين ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ أى : اخرج من السماء فإنك مشتوم ملعون .﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ أى : وإن غضب الله عليك إلى يوم القيامة . ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ أى : قال إبليس : رب فأخِّرنى إلى يوم تَبعث فيه الخلق من قبورهم ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ أى : قال الله له : فإنك ممّن أُخِّر هلاكُه ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ أى : إلى يوم هلاك جميع الخلق(١) ، وذلك حين لا يبقى على الأرض ديار ﴿ قَالَ

= يسجد ، وليس إبليس من الملائكة ، لأن الملائكة لا يعصون أمر الله ، وإنما توجّه له الخطاب بأمر خاص بالسجود لآدم ، والدليل قوله تعالى فى تقريعه وتوبيخه ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ ؟ ... والأدلة قاطعة بهذا فى أول سورة البقرة والصحيح المتفق عليه هو أنه من الجن وليس من الملائكة .

(١) قال فى الهامش : طلب اللعين أن يؤخره الله ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ حتى يتخلص من الموت فأجابه الله ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ أي الذى يموت فيه الخلائق كلهم ، فظهر من هذا أن الموت سيشمل إبليس كما يشمل سائر الخلق ، بعد أن تنتهى مهمته فى الدنيا .

رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ أى : قال إبليس : رب بإغوائك لى لأحَسِّنَنَّ لهم معاصيك ، ولأحَبِّبَنَّها لهم فى الأرض ﴿ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) ﴾ أى : ولأُضِلَّنَّهُم جميعهم عن سبيل الرَّشَاد ﴿ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) ﴾ أى : إلا مَن عصمته بتوفيقك فهديته ، فإنه لا سلطان لى عليه ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) ﴾ أى: قال الله : هذا طريق إلىَّ مستقيم ، ومرجعكم إلىَّ فأجازيكُم بأعمالكم ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ أى : إن عبادى ليس لك عليهم حجة(١) ﴿ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) ﴾ أى : إلا مَن اتبعك فى الضلالة مِمَّنْ غوى وهلكَ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) ﴾ أى : وإن جهنم موعد جميع من اتبعك ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ أى : لها سبعة أطبَاق ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) ﴾(٢) أى : لكل طبقة من أتباع إبليس نصيب مقسوم ، قال على(٣) : إن أبواب جَهَنَّم هكذا أطباق بعضها فوق بعض ، فيمتلئ **الأول** ، ثم **الثانى** ، ثم **الثالث** ، حتى تمتلئ كلها ، وقال **ابن جُريج** : أولها جهنم، ثم لَظَى ، ثم الحُطَمَة ، ثم السَّعير ، ثم سَقَر ، ثم الجحيم ، ثم الهَاوية .. والعياذ بالله منها ومن جميع أبوابها .

---

(١) وقد فسر الطبرى السلطان بالحجة ، وهو صحيح من حيث اللغة ، وفسره غيره بأنه لا قدرة ولا طاقة له على إغوائهم .. وهذا هو الأظهر (هامش) .

(٢) الحجر : ٢٦ ـ ٤٤ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

(٣) أى : ابن أبى طالب كرم الله وجهه .

هذا ، وإذا كان الله تبارك وتعالى قد أشار ، فى قوله :﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ : إلى ما ترتَّبَ على إغواء هذا اللعين .. من إغوائه لعباد الله بكل ما أوتىَ هو وقبيله من كَيد وخداع إلا عباد الله المُخلَصين .. الذين لا سلطان له عليهم .

فقد أشار الله تبارك وتعالى كذلك فى سورة الأعراف إلى ما ترتب أيضاً على هذا الإغواء ، فقال : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾(١) .

ولهذا فإن الله تبارك وتعالى ، وبعد أن يخبرنا ـ بعد ذلك ـ بما فعله اللعين بأبوينَا حتَّى كان سبباً فى طردهما معه من الجنة ..

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾(٢) .

ثم بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى مُحذِّراً بنى آدم من كيد هذا الشيطان الأكبر وجنوده الملاعين :

---

(١) الأعراف : ١٦ ، ١٧ . مع ملاحظة أن اللعين لم يقل : من فوقهم.. لأنه لا يستطيع أن يمنع عنا رحمة الله .. (والحمد لله) .

(٢) الأعراف : ٢٤ ـ ٢٦ .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾(١) .

فلننتفع بهذا التذكير الذى أرجو أن يكون سَبباً فى أن نكون من الذين يؤمنون لا من الذين لا يؤمنون .. حتى لا يكون للشيطان ، أو للشياطين(٢) ولاية علينا .. والله المستعان ، وهو سبحانه ولى التوفيق .

(١) الأعراف : ٢٧ .

(٢) شياطين الإنس والجن ... الذين نسأل الله تعالى أن يحفظنا منهم ، ويعيننا عليهم .. اللهم آمين .

obeikandl.com

(١٧) الشجرةُ المَلْعونةُ فى القُرْآنِ

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ أى : واذكر يا محمد حين قلنا لك: إنا سنمنعك من الناس فلا تَتَهيَّب منهم فى تبليغ رسالتنا ، فهم فى قبضَتِنَا ومشيئتنا(١) ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ أى : وما جعلنا ما شاهدته ليلة الإسراء(٢) من الآيات والعِبَر ، إلا ابتلاءً واختباراً للناس ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ أى : وكذلك شجرة الزقوم جعلناها فتنة للناس ، أما فتنتهم فى الرؤيا فارتداد من ارتد عن الإسلام، واستهزاء المشركين حين أخبرهم عما رآه فى إسرائه ، وأما فتنتهم في الشجرة فقولهم : كيف تنبت شجرة فى النار ، والنار تأكل الشجر(٣) ؟ ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾(٤) أى : ونُخوِّف المشركين بالعقوبات ، فما يزيدهم

---

(١) هذا وعد من الله بنصرة رسوله على المشركين ، وعصمة له من شرهم وكيدهم ، كقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

(٢) أخرج البخارى عن ابن عباس قال : هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به .

(٣) هذا إشارة إلى ما قاله أبو جهل اللعين : يزعم صاحبكم أن فى النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ، وكان يدعو بالتمر والزبد ، ويأكل هذا بهذا ويقول : هذا الذى أوعدكم به محمد فتزقموا .

(٤) الإسْراء : ٦٠ (مختصر تفسير الطبرى) .

تخويفنا إلا تمادياً وغَياً فى كفرهم .

وقد أشار الله تبارك وتعالى فى سورة الصافات إلى فتنة (شجرة الزقوم) ، فقال : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ ﴾ أى : أهذا الذى أعطيت هؤلاء المؤمنين ـ فى الجنة ـ من الفضل خير ، أو ما أعددتُ لأهل النار من الزقوم ؟! ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ أى : جعلنا شجرة الزقوم ابتلاء للمشركين ، الذين قالوا : كيف ينبت الشجر في النار ، والنار تحرق الشجر ؟ ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ أى : إنها شجرة نابتة فى أصل نار جهنم ، كأن طلعها فى قبحه وبشاعته رءوس الشياطين فى قبحها ﴿ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ أى : فإن هؤلاء المشركين لآكلون من شجرة الزقوم ، فمالئون من زقومها بطونهم ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ أى : ثم إن لهم لخلطاً من الماء الساخن ، الذى انتهى حرُّه ، يُخلط به طعامهم ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾(١) .

أى : إن مصيرهم لإلى نار جهنم .

وقال فى سورة الدخان : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ

---

(١) من الآية ٦٢ ـ ٦٨ .

الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾ أى : إن شَجرة الزقوم التى تنبت فى أصل الجحيم ، طعام الكافر الفاجر ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ أى : كالرصاص المذاب فى النار ، الذى تناهت حرارته ، يغلى ذلك فى بطون هؤلاء الأشقياء ، كغلى الماء المسَخَّن المحموم من شدة حَرِّه ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ﴾ أى : خذوا هذا الآثم ، فادفعوه دفعاً وسوقوه إلى وسط النار ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ﴾ أى : ثم صُبُّوا على رأس هذا الأثيم الماء المُسَخَّن ، الذى يُصهر به ما فى بطونهم والجلود ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ أى : ويقال لهذا الشقى[1] : ذُق هذا العذاب الذى تُعَذَّبُ به اليوم ، إنك أنت العزيز فى قومك ، الكريم عليهم ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[2] أى: إن هذا العذاب الذى تُعذَّبون به هو العذاب الذى كنتم تشكون فيه فى الدنيا ، فقد لقيتموه فذوقوه .

وقال تعالى فى سورة الواقعة :

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ أى : ثم إنكم أيها الضَّالُّون

---

(١) وقد نزلت هذه الآية فى (أبى جهل) الذي كان يقول : إن محمداً يتوعدنى ، وواللهِ إني لأعز مَن مشى بين جبليها وإنما يقال له فى الآخرة : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ على سبيل السخرية والاستهزاء ، فالأسلوب إذاً أسلوب سخرية وتهكم (هامش مختصر تفسير الطبرى) .

(٢) الدخان : ٤٣ ـ ٥٠ .

عن طريق الهُدى ، المكذِّبون بوعيد الله وَوَعْده ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) ﴾ أى : ستأكلون فى جَهنَّم من شجر من زَقُّوم ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) ﴾ أى : فمالئون بطونهم من شجر الزقُّوم ﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) ﴾ . أى : فشاربون على الشجر ، ماءً حميماً قد انتهى غلْيُه وَحرُّهُ ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) ﴾ أى : فشاربون شُربَ الإبل العطاش ، المصابة بداء لا تَروى من الماء ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) ﴾(١) أى : هذا هو نُزُلُهُم(٢) الذى يُنزِلُهمْ ربُّهم ، يوم يُدِينُ الله عباده .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « **لو أن قطرةً من الزَّقُّوم قَطَرتْ فى دار الدنيا ، لأفسدت على أهل الدنيا معايشَهم ، فكيف بمن يكون طعامه ؟** » أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم والترمذى وقال : حسن صحيح .

فعلى الإخوة المسلمين أن يلاحظوا كل هذا حتى ينتفعوا به .. وحتى يكونوا إن شاء الله تعالى من الناجين من عذاب النار .. وحتى لا يكون طعامهم (والعياذ بالله) من شجرة الزقوم ... نسأل الله السلامة فى الدنيا والآخرة ... اللهم آمين .

---

(١) سورة الواقعة : ٥١ ـ ٥٦ (مختصر تفسير الطبرى) مع الهامش .

(٢) النُّزُل : الضيافة التى تقدم للضيف أول قدومه ، وتسمية (الزقوم) نُزلاً إنما هو للتهكم والسخرية ، لأن النُّزل للكرامة ، وهذا العذاب للإهانة .

(١٨) الذى يَرْمى زَوجتَهُ بالفَاحِشة كَذِباً

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ ﴾ أى : والرجال الذين يرمون أزواجهم بالفاحشة فيقذفونهنَّ بالزنا ، ولم يكن لهم شهداءُ أو أحد يشهد لهم بصحة ذلك ﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٦ ﴾ أى : فيحلف أحدُهم أربع أيمان بالله إنه لمن الصادقين فيما رمى زوجته به ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٧ ﴾ أى : والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه حالَّةٌ ، إن كان فيما رماها به من أهل الكذب والافتراء ﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ ﴾ أي : ويدفع عنها الحدَّ ﴿ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٨ ﴾ أى : أن تحلف بالله أربع أيْمان ، أن زوجها الذى رماها بالفاحشة ، لمن الكاذبين فيما رماها به ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩ ﴾ أى : والشهادة الخامسة أن غضب الله عليها إن كان زوجها صادقاً فيما رماها به من الزنا ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠ ﴾(١) . أى : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم ، وأنه عَوَّاد على خلقه بلطفه ، حكيم

---

(١) النور : الآية ٦ ـ ١٠ .

فى تدبيره إياهم ، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب .

وقد جاء فى **القرطبى** ، فى سبب نزولها : ما رواه أبو داود عن **ابن عباس** أن **هلال بن أُمية** قذف امرأته عند النبى ﷺ بشريك بن سَحماء ، فقال النبى ﷺ « **البينة أو حَدٌّ فى ظهرك** » قال : يا رسول الله ، إذا رأى أحدنا رجلاً على امرأته يلتمس البينة ؟ فجعل النبى ﷺ يقول : « **البينة وإلا حَدٌّ فى ظهرك** » فقال هلال : والذى بعثك بالحق إنى لصادق ، ولَيُنْزِلنَّ الله فى أمرى ما يبرئ ظهرى من الحد ، فنزلت : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ ﴾فقرأ حتى بلغ : ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(١) . الحديث بكماله . وقيل : لما نزلت الآية المتقدمة فى الذين يرمون المحصنات(٢) ، وتناول ظاهرها الأزواج وغيرهم . قال **سعد بن معاذ** : يا رسول الله ، إن وجدت مع امرأتى رجلاً أمهله حتى آتى بأربعة ! والله لأضربنه بالسيف غير مُصفح . فقال رسول الله ﷺ « **أتعجبون من غَيْرةِ سعدٍ لأنا أغيرُ منه والله أغْيَرُ مِنى** » وفى ألفاظ سعد روايات مختلفة ، هذا نحو معناها . ثم جاء من بعد ذلك **هلال بن أمية الواقفى** فرمى زوجته

---

(١) حتى نهاية الآية رقم ٩ .

(٢) وهى الآية ٤ من سورة النور .

بشريك **بن سَحْماء البلَوِى** على ما ذكرنا ، وعزم النبى ﷺ على ضربه حد القذف ، فنزلت هذه الآية عند ذلك ، فجمعهما رسول الله ﷺ فى المسجد وتلاعنا ، فتلكَّأت المرأة عند الخامسة لمَّا وُعظَت وقيل إنها مُوجبَةٌ[1] ، ثم قالت : لا أفضحُ قومى سائر اليوم[2] ، فالتعنت ، وَفَرَّقَ رسول الله ﷺ بينهما ، وولدت غلاماً كأنه جمل أورق[3] ـ على النعت المكروه ـ ثم كان الغلام بعد ذلك **أميراً بمصر** ، وهو لا يعرف لنفسه أباً . وجاء أيضاً **عُوَيْمِر العجلانِىُّ** فرمى امرأته ولاعن . والمشهور أن نازلة هلال كانت قبلُ وأنها سبب الآية . وفى المسألة الثالثة والعشرين ذكر **القرطبى** .

كيفية اللِّعَان :

فقال : أن يقول الحاكم للملاعن : قل أشهد بالله لرأيتُها تزنى ورأيت فرج الزانى فى فرجها كالمِرْوَدِ فى المكحلة وما وطئتُها بعد رؤيتى . وإن شئت قلت : لقد زنت وما وطئتها بعد زناها يُرَدِّدُ ما شاء من هذين اللفظين **أربعَ مرات** ، فإن نكَل عن هذه الأيْمانِ أو عن شئ منها حُدَّ .

---

(١) أى : الشهادة الخامسة موجبة للعذاب الأليم إن كانت كاذبة .

(٢) أريد باليوم الجنس ، أى جميع الأيام .

(٣) الأورق من الإبل : الذى فى لونه بياض إلى سواد .

وإذا نفى حملاً قال : أشـهد بالله لقد استبرأتُهَا ومَا وطئـتُها بعد ، وما هذا الحمل مني ، ويُشيـر إليه ، فيحلف بذلك **أربع مرات** ويقول فى كل منها : وإنى لمن الصادقين فى قـولى هذا عليها . ثم يقول فى الخامـسة : « عَلَىَّ لعنة الله إن كنتُ من الكاذبين » وإن شـاء قال : إن كنتُ كاذباً فيـما ذكرت عنها . فإذا قال ذلك سـقط عنه الحد وانتفى عنه الولد . فإذا فرغ الرجل من التعانه قامت المرأة بعده فحلفت بالله **أربعة أيمان** تقول فيهـا : أشهد بالله إنه لكاذب ، أو إنه لمن الكاذبين فيما ادعاه عَلَىَّ وذكر عنى . وإن كـانت حاملاً قالت : وإن حملى هذا منه . ثم تقول فى الخامسة : وَعَلَىَّ غَضَبُ الله إن كان صادقاً ، أو إن كان من الصـادقين فى قوله ذلك. وَمـن أوجب اللعان بالقـذف يقول فى كل شهادة من الأربع : أشهد بالله إننى لمن الصادقين فيما رَمَيْتُ به فلانة من الزنى . ويقول فى الخامسة: عَلَىَّ لعنة الله إن كنتُ كاذباً فـيمـا رميتُ به من الزنى وتقـول هى: أشـهد بالله إنه لكاذب فـيمـا رمانى به من الزنى . وتقـول فى الخامسة : عَلَىَّ غـضب الله إن كان صادقاً فيما رمانى به من الزنى ...

كما قال **القرطبى** ـ كذلك ـ فى المسألة السابعة والعشرين : ذهب الجمهور من العلماء أن المتَلاعنَيْن لا يتناكَحَان أبداً ، فإن أكذب نفسه جُلد الحد ولحق به الولد ، ولم ترجع إليه أبداً . وعلى هذا السنة التى لا شك فيها ولا اختلاف ..

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا حتى يحذرا الوقوع فى هذا المحظور الذى يُوَصِّل غالباً إلى تلك الملاعنة التى نسأل الله تعالى أن يعافينا منها .. وأن يجعلنا جميعاً مسلمين ومسلمات من الطاهرين والطاهرات ، والصادقين والصادقات.

والله تعالى هو الموفق للصواب .

obeikandl.com

(١٩) الذِينَ يرْمُونَ الْمُحْصنَات الغَافِلاتِ المُؤْمِناتِ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أى : إن الذين يتهمون بالزنى العفيفات ، الغافلات عن الفواحش ، المؤمنات بالله ورسوله ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ أى : أُبعِدُوا من رحمة الله ، فى الدنيا ويوم القيامة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] أى : ولهم فى الآخرة عذاب جهنم الشديد ، إلا أن يتوبوا قبل وفاتهم .

وهذا ترهيب شديد ينبغى على الرجال والنساء أن يلاحظوه .. حتى لا يرموا المحصنات الغافلات المؤمنات بالزنى ظلماً وعدواناً وهُنَّ منه براء .

وحسب الذين يقعون فى هذا الذنب الكبير أن يعلموا أو يَعلَمْنَ أنه من الكبائر المشدَّد عليها فى القرآن والسنة :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **اجتنبوا السَّبع الموبقات** »[2] قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : « **الشرك بالله ، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ،**

---

(١) النور : الآية ٢٣ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

(٢) أى : المهلكات .

وأكل مال اليتيم ، والتولّى[1] يومَ الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ ، قال : « من ذكر امرأً بشئ ليس فيه لتعييبه به حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاد[2] ما قال فيه » رواه الطبرانى بسند جيد .

بل وحسبنا جميعاً زجراً لنا أن نفهم المراد من قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٣)﴾(٤) .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن لا يجعلنا من هؤلاء ـ الخاسرين ـ الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات... اللهم آمين .

---

(١) أى : الفرار عند لقاء العدو .

(٢) أى : المخلص ولن يأتى .

(٣) هذا بالإضافة إلى حد القذف الذى يجب أن يُنفذ فيه .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤ ﴾ (النور ٤) .

(٤) الأحزاب :٥٨ .

(٢٠) فِرْعَوْنُ وجُنودُه ..
بعدَ أن استكبروا في الأرْض بغيرِ الحَقِّ
فَأهلكهُم اللهُ وجعلهُم عِبرةً للمعْتبِرين

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ ﴾ أى : قال لهم **موسى** : ربى أعلم بالمحق منّا منَ المُبطل ، وبمن جاء بالرشاد والبيان من عند الله ! ﴿ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ أى : ومن الذى تكون له العقبى المحمودة فى الدار الآخرة ؟ ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ أى : إنه لا ينجح الكافرون ولا يصلون إلى مرادهم ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ أى : وقال **فرعونُ** لأشراف قومه : لا أعلم لكم من إله غيرى فتعبدوه .

﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ أى : فاعمل لى يا **هامان** آجُراً ، وابن لى بناء شامخاً ، لأنظر إلى معبود **موسى** الذى يعبده[1] ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ أى : وإنى لأظنه فيما يقول كاذباً ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ أى : واستكبر **فرعون** وجنوده فى أرض **مصر** ، عن تصديق

---

(١) يقول فرعون ذلك على سبيل التهكم ، و (هامان) هو وزير فرعون الذى كان يعينه على فجوره وضلاله .

موسى ، والإقرار بالعبودية لله ، تَعَدِّياً وعُتُوّاً على ربهم ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ أى : وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون ، وأنه لا ثواب ولا عقاب ، فركبوا أهواءهم ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ أى : فجمعنا فرعون وجنوده من القبط[1] ، فألقيناهم فى البحر وأغرقناهم جميعاً ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ أى : فانظر يا محمد بعين قلبك ، كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ؟ ألم نُهلكهم فنورث ديارهم المؤمنين بعد أن كانوا مُستضعفين ؟ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴿٤٠﴾ ﴾ أى : وجعلنا فرعون وقومه ، أئمة يأتم بهم أهل الكفر ؟ ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ أى : ويوم القيامة لا ينصرهم من الله ناصر ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ أى : وألزمناهم في هذه الدنيا خزياً وغضباً منّا عليهم ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2] أى : من الذين قَبَّحهم الله ، فأهلكهم وجعلهم عبرةً للمعتبرين .

فلنعتبر نحن كذلك بهذا الدرس القرآنى الذى يُرينا وبوضوح جزاء الظالمين لأنفسهم ولغيرهم والمستكبرين فى الأرض بغير الحق وكيف أغرقهم الله تبارك وتعالى فى اليمِّ وجعلهم عبرة لغيرهم من

---

(١) القِبْط ، بوزن السِّبْط : أهل مصر وَهُم بُنْكُهَا أى أصلها (مختار الصحاح) .
(٢) القصص : ٣٧ ـ ٤٢ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

المعتبرين إلى يوم الدين .

وذلك حتى لا نتشبه بهم .. ونكون على عكس هذا من الموحدين المتواضعين لله رب العالمين الذى بيده ملكوت كل شئ .. والذى إذا أراد شيئاً قال له كُن فيكون .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل الدروس **القرآنية** حُجة لنا لا علينا .. اللهم آمين .

obeikandl.com

(٢١) الذين يُؤذُونَ الله ورسُولهُ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أى : يؤذون ربهم بمعصيتهم له ، وركوبهم مَا حَرَّم عليهم ، ويطعنون على رسوله ﷺ فيما يفعل ، ومن ذلك زواجه بصفية رضى الله عنها(١) ﴿ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ أى : أبعدهم الله من رحمته فى الدارين ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ أى : وأعدَّ لهم فى الآخرة ، عذاباً يُهينُهم بالخلود فيه ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾ أى : والذين يعيبون المؤمنين والمؤمنات طلباً لشينهم ، بغير ما عملوا ﴿ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾(٢) أى : فقد احتملوا زوراً وكَذِباً ، وفِريةً شنيعة .

فحذار أن نكون من هؤلاء المشار إليهم فى هاتين الآيتين حتى لا نكون ـ والعياذ بالله ـ من الملعونين مثلهم فى الدنيا والآخرة وحتى لا نكون كذلك من الذين ﴿ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ بهذا المعنى الذى وقفنا عليه .. والذى نسأل الله تعالى السلامة منه ، اللهم آمين .

---

(١) وكان زوجها قد قتل عنها يوم خيبر فسباها النبى ﷺ يومئذ واصطفاها لنفسه فأسلمت وأعتقها وجعل عتقها صداقها .

(٢) الأحزاب : الآية ٥٧ ، ٥٨ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

(٢٢) المُنافِقُونَ والذِين فِى قُلُوبِهِم مرضٌ والمُرْجِفُون

﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أى : لئن لم ينته أهل النفاق ، الذين يُبطنون الكفر ، ويُظهرون الإيمانَ ، والذين فى قلوبهم ريبة من شهوة الزنا ، وحُبِّ الفجور ﴿ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ أى : وأهل الإرجاف(١) فى المدينة بالكذب والباطل ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً ﴿٦٠﴾ ﴾ أى: لنُسلِّطنَّك عليهم ، ثُم لننفينَّهم عن المدينة فلا يسكنون معك فيها إلا قليلاً من الزمن ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴿٦١﴾ ﴾ أى : مطرودين منفيين من رحمة ربهم ، حيثما لقوا من الأرض ، أُخِذوا وَقُتِّلُوا لكفرهم بالله تقتيلاً ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ﴾ أى: سنة الله فى الذين مضوا قبل هؤلاء المنافقين ، من أمثالهم أن يقتلهم ويلعنهم ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴿٦٢﴾ ﴾(٢) أى : ولن تجد يا محمد لسنة الله التى سنَّها فى خلقه تغييراً .

فلنحذر جميعاً كمؤمنين ـ بصفة خاصة ـ أن نكون من هؤلاء

---

(١) المرجفون : جمع مرجف وهو الذى يشيع الكذب والباطل ، وينشر الرعب والفزع فى قلوب الناس .

(٢) الأحزاب : ٦٠ ـ ٦٢ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

المنافقين ، أو الذين فى قلوبهم مرض ، أو المرجفين ... حتى لا نتعرض لمثل هذا المشار إليه فى الآية الثانية ، من اللعنة والتقتيل ولنكن على عكس هذا من أهل الصلاح والتقوى الذين لا يفعلون غير ما يُرضى الله ورسوله ... وحسبنا إن فعلنا هذا ـ إن شاء الله ـ أننا سنكون من خير البرية المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧﴾(١) .

والله الموفق للصواب .

---

(١) سورة البينة : الآية ٧ . وخير البرية ، أى : خير خلق الله .

(٢٣) الذين أطاعوا سادتهم وكبراءهم فأضلوهم السبيل

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً (٦٤) ﴾ أى : إن الله أبعد الكافرين من كُلِّ خير ، وأقصاهم عنه ، وأعدَّ لهم فى الآخرة ناراً تتَّقدُ ليُصليَهُم إيَّاهَا ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾ أى : ماكثين فى السعير أبداً ، إلى نهاية ﴿لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً (٦٥) ﴾ أى : لا يجدون ولياً يتولاَّهُم فَيَسْتَنْقذُهم من السَّعير ، ولا نصيراً ينصرهم فَيُنَجِّيهم من عقاب الله ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ أى : يوم تتقلَّبُ وجوهُهُم فى النار حَالاً بعد حال(١) ﴿ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ (٦٦) ﴾ أى : يقولون وهم فى النار : ياليتنا أطعنا الله فى الدنيا ، وأطعنا رسوله ، فكُنَّا مع أهل الجنة فى الجنة ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ (٦٧) ﴾ أى : وقال الكافرون أيضاً : ربنا إننا أطعنَا أئمتَنَا فى الضلالة ، وكُبراءنا فى الشِّرك ، فصرفونا عن طريق الهُدى ﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ أى : يا ربنا عذِّبهم

---

(١) يريد أن وجوههم تتقلب فى النار من جهة إلى جهة ، كاللحم الذى يُشوى بالنار (هامش مختصر تفسير الطبرى) .

مثْلَىْ عذابنَا الذى تُعذبنَا به ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾(١) أى : واخزِهِمْ خِزْيًا كَبيراً .

فليكن هذا الدرس القرآنى موعظة لنا حتى لا نكون كهؤلاء الحمقى الذين أطاعوا سادتهم وكُبَراءهم طاعة عمياء .. فأضلوهم السبيل .. وكَانوا بسبب هذا من أهل النار .. التى تُقَلَّب وجوههم فيها والعياذ بالله ـ ولنكن على عكس هذا من الذين يُطيعون الله ورسوله .. حتى نكون إن شاء الله تعالى ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾(٢)

والله الموفق للصواب ، والهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) الأحزاب : ٦٤ ـ ٦٨ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

(٢) النساء : من الآية ٦٩ (وأول الآية) : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ ... ﴾ الآية .

(٢٤) الذِينَ أفسَدُوا فى الأرْضِ وَقَطَّعُوا أَرحَامهُمْ

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أى : فلعلَّكم أيها القوم إن أدبرتُم عن محمد ﷺ وعما جاءكم به ﴿ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ﴾ أى : أن تعصوا الله فى الأرض ، فتكفروا به ، وتسفكوا الدماءَ ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ أى : وتعودوا لمَا كنتُم عليه فى جاهليتكم ، من التَّشتُّت ، والتفرق ، بعد ما جمعكم الله بالإسلام ، وألَّف بين قلوبكم !! ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ أى : هؤلاء المفسدون الذين طردهم الله من رحمته ﴿ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ أى : فسلَبهُم فَهْمَ ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله ، وسلبهم عقولهم فلا يتَبَينُونَ حُجج الله ، ولا يتذكَّرون عِبَره وأدلَّته ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ أى : أفلا يتدبَّر المنافقون مواعظ الله فى آى القرآن ، ويتفكرون فى حُجَجه ، فيعلموا خطأ ما هم عليه مقيمونَ ؟! ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾(١) أى : أم أقفل الله على قلوبهم ، فلا يعقلون المواعظ والعبر .

فليكن هذا التذكير القرآنى موعظة لنا حتى لا نكون كهؤلاء

---

(١) سورة محمد : ٢٢ ـ ٢٤ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

المنافقـين المفسدين فى الأرض .. والذيـن قطَّعوا أرحامـهم .. فنكون كـذلك ـ والعيـاذ بالله ـ من **الملعونين** مثلهم بهـذا المعنى الذى وقفنا عليه .. وحـسبنا إذا أردنا أن نكون من **المعافين** من هذا .. أن نـكون على صلَةٍ **بالقرآن الكريم** الذى ينبغى علـينا أن نتدبر معـانيه ، وأن نقف علىَ المـراد من تلك الآيات **القرآنية** التى ينبغى أن نعيش مـعها بكل جـوارحنـا .. وأن نعـمل مع ذلك وبعـد ذلك علـى أن تكون تلك الآيات **القرآنية** حُجَّةً لنا لا علينا .. والله ولى التوفيق .

obeikandl.com

(٢٥) الظَّانُّون بالله ظَنَّ السَّوْء .. مِنَ المنافقينَ والمنَافقاتِ ، والمشْرِكينَ والمشْرِكَاتِ

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى : أنزل الله السكون والطمأنينة فى قلوب المؤمنين إلى الحق الذى بعثك الله به يا محمد ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ أى : ليزدادوا بتصديقهم ـ بما جَدَّد الله من الفرائض ـ إيماناً مع إيمانهم ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أى: ولله جنود السموات والأرض أنصارٌ ، ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ أى : ولم يزل الله عالماً بخلقه ، حكيماً فى تدبيره ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ أى : ليشكر المؤمنون رَبَّهُم على إنعامه عليهم ، فيُدخلَهُم بذلك بساتين تجرى من تحت غُرفها الأنهار ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى : ماكثين فيها إلى غير نهاية ﴿ وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ أى : وليُكفر عنهم سيئ أعمالهم ، بالحسنات التى يعملونها ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ أى : وكان ما وعدهم الله به ـ بإدخالهم الجنة ـ ظَفَراً عظيماً بما كانوا يأملون ، ونجاةً مما كانوا يحذرون ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ﴾ أى : وليعذب المنافقين والمنافقات والمشركين كذلك والمشركات ، بفتح الله لك يا محمد ما

فتح ، ونصرك على مشركى قريش ، فيكبتهم ويُخَيِّبُ رجاءهم ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ أى : الظانين بالله الظَّنَّ السَّيِّئَ ، بأن الله لن ينصر رسوله ، ولن يُظهر كلمته ، فيجعلها العُليا على كلمة الكافرين ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ أى : على المنافقين والمشركين تدور دائرة العذاب ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أى : ونالهم الله بغضب منه ﴿ وَلَعَنَهُمْ ﴾ أى : وأبعدهم فأقصاهم من رحمته ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ﴾ أى : وأعدَّ الله لهم نار جَهَنَّم ، يصلونها يوم القيامة ﴿ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[1] أى : وساءت جهنم منزلاً ، يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات .

فلنكن إخوة الإسلام من الصنف الأول ، أى من الذين أنزل الله السكينة فى قلوبهم فازدادوا إيماناً مع إيمانهم فكانوا لهذا أهلاً لأن يُدخلهم الله جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وكفَّر عنهم سيئاتهم .

وحذار أن نكون من الصنف الثانى .. أى : من المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظَّانِّين بالله ظَنَّ السَّوء .. الذين ﴿ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ، والعياذ بالله منهم ومن صفاتهم التى استحقوا بها غضب الله ولعنته .

والله الموفق للصواب

---

(١) الفتح : الآية ٤ ـ ٦ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

obeikandl.com

والملعونون والملعونات في القرآن أيضًا

هم الذين جحدوا بالقرآن وبرسالة محمد ﷺ ، كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ (١) وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ(٢) وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٣) .

وهُم المنافقون الذين يُبدون بأفواههم خلاف ما في قلوبهم ، كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٤) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا (٥) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٦)﴾(٧) .

---

(١) أى : طبع الله على قلوبهم وأسماعهم ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر منها مخلص .

(٢) أى : غطاء فلا يبصرون سبيل الهدى .

(٣) البقرة : ٦ ـ ٧ .

(٤) أى : بمصدقين .

(٥) أى : شكًا وحَيرة ...

(٦) أى : بسبب كذبهم بدعواهم الإيمان ... والمراد بهم فى الآية أهل النفاق من أحبار اليهود وغيرهم من العرب ، ممن أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر .

(٧) البقرة : ٨ ـ ١٠ .

وهُم الذين يَتَّخذُون من دون الله أنداداً يُحبونهم كَحُبِّ الله ..

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا (١)يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ(٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾(٣) .

وهُمُ الذين يَكْتُمــونَ ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ(٤) وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً(٥) أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ(٦) وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ (٧) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى(٨) وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) (٩) ﴾(١٠) .

---

(١) أى : من يجعل لله شركاء وعدلاء .

(٢) أى : كحب المؤمنين لله .

(٣) البقرة : ١٦٥ .

(٤) وهم أحبار اليهود الذين كتموا الناس أمر محمد ﷺ ونبوته وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة .

(٥) أى : اليسير من عرض الدنيا .

(٦) أى : ما يأكلون فى بطونهم إلا ما يوردهم النار .

(٧) أى : ولا يطهرهم من دنس الذنوب والكفر .

(٨) أى : أخذوا الضلالة وتركوا الهُدى .

(٩) أى : فما أجرأهم على عذاب النار !؟ وهو تعجب من حالهم .

(١٠) البقرة : ١٧٤ ، ١٧٥ .

وهُم الذين يُفسدون فى الأرض ويُهلكُون الحرثَ والنسلَ كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ(١) فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ (٢) وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) (٣) وَإِذَا تَوَلَّىٰ (٤) سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا (٥) وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ (٦) وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) (٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ (٨) فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ(٩) وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)(١٠) ﴾(١١) .

وَهُمُ الذين يُبْطلُونَ صدقاتهم بالمنِّ والأذى .

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا

---

(١) أى : ومن الناس فريق يعجبك ظاهر قوله وعلانيته .

(٢) أى : ويستشهد الله على ما فى قلبه بأنه مُحق فى قوله .

(٣) أى : وهو شديد الخصومة ، يجادل بالباطل والزور .. وهذه صفة المنافقين ..

(٤) أى : إذا أدبر هذا المنافق منصرفاً عنك .

(٥) أى : عمل فى الأرض بما حرم الله من قطع الطريق ، وإفساد السبيل ليخيف عباد الله .

(٦) أى : ويهلك الزرع وقتل ما لا يحل من الحيوان والدواب .

(٧) أى : لا يحب المعاصى وقطع الطريق وإخافة السبيل .

(٨) أى : استكبر وأخذته العزة والحمية ، وتمادى فى غَيِّه وضلاله .

(٩) أى : كفاه عقوبة على غَيِّه الاصطلاء بنار جهنم .

(١٠) أى : ولبئس الفراش والوطاء جهنم .

(١١) البقرة : ٢٠٤ ـ ٢٠٦ .

تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ(١) كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ (٢) وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ (٣) فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا(٤) لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا (٥)وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)(٦) ﴾(٧) .

وهُمُ الذين يأكلون الرِّبَا ... كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا (٨) لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ (٩) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا (١٠) وَأَحَلَّ اللَّهُ

---

(١) أى : لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمن والأذى .

(٢) أى : كالمنافق الذى ينفق ماله لغير وجه الله ليحمده الناس فيقولوا : هو سَخِىٌّ كريم ...

(٣) أى : فمثل هذا المرائى ، كمثل حجارة مُلس ، عليها تراب .

(٤) أى : فأصاب هذه الحجارة المُلس ، مطرٌ شديد عظيم فترك الصفوان صلداً لا تراب عليه ، ولا شئ من نبات ولا غيره .. فكذلك هؤلاء المراءون تذهب أعمالهم وتضمحل .

(٥) أى : لا يقدرون يوم القيامة على ثواب شئ من أعمالهم ، لأنهم عملوها رئاء الناس وطلب حمدهم .

(٦) أى : لا يوفقهم لإصابة الحق بل يتركهم فى ضلالهم يعمهون .

(٧) البقرة : ٢٦٤ .

(٨) أى : الذين يتعاملون بالربا أخذاً وعطاء وأكلاً ...

(٩) أى : لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كقيام المصروع الذى يخنقه الشيطان فيصرعه من الجنون .

(١٠) أى : ذلك الجزاء بسبب أنهم كانوا يكذبون ويفترون ويقولون باطلاً .

الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ (١) فَلَهُ مَا سَلَفَ (٢) وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ (٣) وَمَنْ عَادَ(٤) فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ(٥) وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾(٦) .

وهُمُ الذين يَكْفُرونَ بآيات الله ويقتُلُونَ النبيينَ بغير حَقّ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ (٧) وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ (٨) وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ (٩) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ(١٠) وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾(١١) ﴾(١٢) .

---

(١) أى : فمن جاءه تذكير وتخويف من ربه فانزجر عن أكل الربا وارتدع .

(٢) أى : فله ما قد مضى قبل مجئ التحريم .

(٣) أى : أمر آكل الربا إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه .

(٤) أى : ومن عاد لأكل الربا بعد التحريم .

(٥) أى : ينقص الله الربا فيذهبه ، ويضاعف أجر الصدقات ويُنميها .

(٦) البقرة : ٢٧٦ .

(٧) أى : يجحدون حجج الله من **اليهود والنصارى** .. والآية عامة لكل كافر وجاحد .. لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٨) **كزكريا ويحيى** وغيرهما من أنبياء الله .

(٩) أى : ويقتلون الذين يأمرون بالعدل وينهون عن ارتكاب معاصى الله .

(١٠) أى : بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة .. فأما فى الدنيا فبالـلعنة والمذمة .. وفى الآخرة بالحرمان من النعيم والخلود فى الجحيم ، لأن أعمالهم تصير بوراً لا ثواب لها .

(١١) أى : ما لهم ناصر ينصرهم من الله ويستنقذهم من عذابه .

(١٢) آل عمران : ٢١ ، ٢٢ .

وهُمُ الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ (١) ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا (٢) لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ (٣) وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠)(٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ (٥) بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٩١)﴾(٦) .

وهُمُ الذين تفرقُوا واختلفوا ...

كَما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ(٧) وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾(٨) .

---

(١) أى : كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم به .

(٢) بما أصابوا من المعاصى .

(٣) أى : من الذنوب حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد .

(٤) أى : هم الذين ضلوا السبيل عن الحق .

(٥) أى : فلن يقبل من أحدهم عوض أبداً حتى ولو كان من الذهب قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها .

(٦) آل عمران : ٩٠ ، ٩١ .

(٧) أى : لا تكونوا كاليهود والنصارى الذين اختلفوا فى دين الله وأمره ونهيه من بعد ما علموا الحق ، وظهرت لهم حجج الله وآياته البينات .

(٨) آل عمران : ١٠٥ .

وهُمُ الذين اشتروا الكفر بالإيمان ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ(١) لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) ﴾(٢) .

وهُمُ الذين يبخلُون بما آتاهمُ الله من فضله ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ (٣) هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٤) وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) ﴾(٥) .

وهُمُ الذين يأكلون أموال اليتامى ظُلماً ...

كما يُشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا(٦) إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا (٧)وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) ﴾(٨) .

---

(١) أى : إن هؤلاء المنافقين الذين استبدلوا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً بارتدادهم عن الإيمان .

(٢) آل عمران : ١٧٧ .

(٣) أى : فلا يخرجون منها الزكاة .

(٤) أى : سيجعل الله ما بخلوا به يوم القيامة طوقاً فى أعناقهم .

(٥) آل عمران : ١٨٠ .

(٦) أى : يأكلونها ظلماً بغير حق .

(٧) أى : إنما يأكلون ناراً تتأجج فى بطونهم يوم القيامة .

(٨) النساء : ١٠ .

وهُمُ الذين يأكلون أموالهم بينهم بالباطل ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ (١) إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ (٢) وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ (٣) إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا(٤) وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) ﴾(٥) .

وهُمُ الذين جحدوا آيات القرآن فلم يصدقوا بها ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا (٦) كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ (٧) إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) ﴾(٨) .

وهم الذين يُشاقُّون الرسولَ من بعد ما تبين لهم الهُدى ..

كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ (٩) مِنْ بَعْدِ

---

(١) أى : لا يأكل بعضكم أموال بعض بالحرام ، كالربا والقمار ، وغير ذلك مما حرم الله.

(٢) أى : إلا ما كان بطريق التجارة ، والبيع ، والعطاء عن رضى منكم .

(٣) أى : لا يقتل بعضكم بعضاً .

(٤) أى : فسوف نورده ناراً يحترق فيها .

(٥) النساء : ٢٩ ، ٣٠ .

(٦) أى : سوف نشويهم فى نار جهنم .

(٧) أى : كلما احترقت جلودهم بدلناهم بجلود أخرى ليجدوا ألم العذاب وشدته .

(٨) النساء : ٥٦ .

(٩) أى : ومن يُعاد الرسول ويخالف أمره ، من بعد ما ظهر له الحق وأنه رسول الله .

مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ(١) نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ (٢) وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً (١١٥) ﴾(٣) .

وهم المنافقون الذين يُخادعون الله وهو خادعُهم ..

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ (٤) وَهُوَ خَادِعُهُمْ (٥) وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ (٦) يُرَاءُونَ النَّاسَ(٧) وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً (١٤٢) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ (٨) لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (١٤٣) ﴾(٩) .

وهُمُ الذين كَفَروا وصَدُّوا عن سبيل الله ..

كما يُشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ (١٠) قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً (١٦٧) (١١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) أى : غير طريق المؤمنين ومنهاجهم .
(٢) أى : نتركه وما استعان به من الأوثان والأصنام ونحرقه بنار جَهنم .
(٣) النساء : ١١٥ .
(٤) أى : يخادعون الله بإظهار الإيمان وإبطان الكفر حقناً لدمائهم .
(٥) بإجراء أحكام المسلمين عليهم استدراجاً لهم ، حتى يردوا نار جهنم .
(٦) أى : إذا قاموا لأداء الصلاة قاموا إليها متثاقلين .
(٧) أى : يصلون رياءً للمؤمنين .
(٨) أى : مترددين بين الكفر والإيمان .
(٩) النساء : ١٤٢ ، ١٤٣ .
(١٠) أى : إن الذين جحدوا نبوتك ـ يا محمد ـ وصدوا الناس عن دين الإسلام .
(١١) أى : قد حادوا عن طريق الإسلام وزاغوا عن الهدى زيغاً كبيراً .

وَظَلَمُوا (١) لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨)(٢) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ(٣) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) ﴾(٤) .

وهُمُ الذين يُحاربونَ الله ورسولَه ويَسْعَونَ فى الأرضِ فَسَاداً ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (٥)وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا (٦) أَن يُقَتَّلُوا (٧) أَوْ يُصَلَّبُوا(٨) أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ (٩) أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ (١٠) ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا (١١) وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)(١٢) إِلاَّ الَّذِينَ

---

(١) أى : جحدوا رسالتك يا محمد ، وظلموا بمقامهم على الكفر .

(٢) أى : لم يكن الله ليصفح عن ذنوبهم ، ولا ليوفقهم للإسلام ، ولكنه يخذلهم عنه حتى يسلكوا طريق جهنم .

(٣) أى : إلا الطريق الموصل إلى نار جهنم .

(٤) النساء : ١٦٩ .

(٥) أى : إنما جزاء من يقتل النفوس بغير حق ، ويخيف الآمنين فيُغير عليهم فى أمصارهم وقراهم .

(٦) أى : بقطع الطريق ، والعمل بمعاصى الله .

(٧) أى : عقوبتهم القتل إن قَتلوا .

(٨) أى : إن قَتَلوا وأخذوا المال .

(٩) أى : تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ، إن أخذ المال ولم يقتل .

(١٠) أى : أو يطرد من بلده إلى بلد آخر ويحبس فيها بالسجن ، إن أخاف الناسَ ولم يقتل ولم يسلب مالاً ...

(١١) أى : هذا الجزاء لهم عقوبة وشر وذلة فى عاجل الدنيا قبل الآخرة .

(١٢) أى : ولهم فى الآخرة إن لم يتوبوا عذاب جهنم .

تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ (١) فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٢) (٣٤)﴾(٣) .

وهمُ الذين قالوا : إن الله هو المسيحُ بنُ مريم ..

والذين قالوا : إن الله ثالثُ ثلاثَة .. كما يُشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ (٤) وَقَالَ الْمَسِيحُ (٥) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ (٦) وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ (٧) وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ (٨) وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا

---

(١) أى : إلا من تاب من قطّاع الطريق إذا ترك الحرابَة وأمَّنَهُ الإمام قبل أن يُقبض عليه .

(٢) أى : فإن توبته تضع عنه تبعات الدنيا ، رحمة من الله عليه .

(٣) المائدة : ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) أى : لقد كفر النصارى الذين قالوا إن عيسى هو الله ، واتخذوه ربّاً ، وهذا قول (اليعقوبية) عليهم غضب الله ـ وكيف يكون عيسى إلهاً وقد خرج من فرج امرأة ؟ وكيف يكون ربّاً يُعبد وقد صُلبَ على زعمِ النصارى ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون عُلُواً كبيراً .

(٥) أى : وقال لهم المسيح : اعبدوا الله الذى خلقنى وخلقكم ..

(٦) أى : ومرجعه ومكانه الذى يأوى إليه نار جهنم .

(٧) أى : لقد كفر النصارى الذين قالوا : إن الله واحد من ثلاثة آلهة .. وهذا قول جماهير النصارى .. وهذا هو المشهور فى زماننا حيث يقولون : (باسم الأب ، والابن ، وروح القدس)

(٨) أى : وما لكم معبود إلا معبود واحد .

يَقُولُونَ(١) لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢) (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ(٣) وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ (٤) قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ(٥) وَأُمُّهُ صِدّيقَةٌ (٦) كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ (٧) انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ(٨) ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) (٩)﴾(١٠).

وهُمُ الظالمون الذين افتروا على الله كَذِباً ...

كما يُشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ومَن أظلمُ مِمَّن**

---

(١) أى : وإن لم يكفوا عن هذا الافتراء والكذب .

(٢) أى : لَيُصيبَنَّ الذين قالوا : المسيح هو الله ، والذين قالوا : الله ثالث ثلاثة ، عذاب موجع .

(٣) أى : أفلا يتوبون مما قالوا ويسألون ربهم المغفرة ؟

(٤) أى : ليس المسيح إلا رسول كسائر الرسل ، أجرى الله على يديه ما شاء من الآيات والمعجزات ، ولدته أمه كما تلد الأمهات ، فهو ابن مريم ، وهذا من صفات البشر لا من صفات خالق البشر .

(٥) أى : قد مضت من قبله رسل كثيرون ، أجرى الله على أيديهم الآيات والخوارق .

(٦) أى : وأمه تقية صالحة مبالغة فى الصدق ..

(٧) أى : كانا يتناولان الطعام والشراب كسائر البشر ، فكيف يكون إلهاً من كان محتاجاً إلى الغذاء ليقيم به حياته ؟

(٨) أى : انظر يا محمد كيف نبين لهؤلاء النصارى الأدلة الساطعة على بطلان ما يدعون.

(٩) أى : انظر كيف يحيدون عن الحق إلى الباطل والضلال ؟

(١٠) المائدة : ٧٢ ـ ٧٥ .

افتَرى على الله كَذِباً[١] أو قـال أُوحِيَ إليَّ ولم يُوحَ إليـه شَيءٌ[٢] ومَن قالَ سأنزِلُ مثلَ مـا أنْزَلَ الله[٣] ، ولَوْ تَـرى إذِ الظالمـونَ فى غمَـرات الموت[٤] والملائكة باسطُوا أيديـهم أخْرِجُـوا أنفسَكُم[٥] اليومَ تُجـزونَ عَذَابَ الهُونِ[٦] بما كُنْتُم تقُـولُونَ عَلَى الله غَـيْـرَ الحَقِّ[٧] وكُنْتُم عن آياته تَسْتَكْبِرُونَ[٨] ﴾[٩] .

وهُـمُ الذين يكنِزُون الذهبَ والفِضَّـةَ ولا يُنفِقُونها فـى سبيل الله ..

كمـا يُشيـر إلى هذا قول الله تبـارك وتعالى : ﴿ .. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠)(٣٤) يَوْمَ

---

(١) أى : ومن أظلم ممن اختلق الكذب على الله ؟

(٢) أى : أو زعم أن الله أوحى إليه ، فبـعثه نبياً وأرسلـه نذيراً ، وهو مبطل كاذب ، كمسيلمة الكذاب والعنسى ؟

(٣) أى : ومن زعم أنه لو شاء لقـال مثل مـا قال الله ؟ وهذا كقـول المشركين : (لو نشاء لقلنا مثل هذا) .

(٤) أى : ولو ترى إذ الظالمون وقد غشيتهم سكرات الموت .

(٥) أى : والملائكة يضربون وجـوههم وأدبارهم قائلين لهم : أخـرجوا أرواحكم من أجسامكم إلى سخط الله ولعْنته .

(٦) أى : فإنكم اليوم تُثابون على كفركم بعذاب يُهينكم ويُذلكم وهو عذاب جهنم .

(٧) أى : بقولكم على الله الباطل .

(٨) أى : واستكباركم عن الخضوع لأمره ، والانقياد لطاعته .

(٩) الأنعام : ٩٣ .

(١٠) أى : والذين يجمعون الأموال الكثيرة ، ولا يؤدون زكاتها فبشرهم بعذاب أليم موجع يوم القيامة .

يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ (١) هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ(٢) (٣٥) ﴾(٣) .

وهُمُ الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكُفراً وتفريقاً بينَ المؤمنين ..

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا (٤) وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ (٥) وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ (٦) وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ (٧) وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٨) (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا (٩) لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ

---

(١) أى : يوم يوقد على الأموال التى كنزوها فى نار جهنم ، فتحرق بها الجباه والجنوب والظهور .

(٢) أى : ويقال لهم ..

(٣) التوبة : من الآية : ٣٤ ، ٣٥ .

(٤) أى : والذين ابتنوا مسجداً ضراراً لمسجد رسول الله ﷺ ، وهم قوم من المنافقين بنوا مسجداً بجانب مسجد قُبَاء ، وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يُصلى فيه ، وأرادوا ببنائه أن يكون وَكْراً لهم ليتآمروا على الإسلام والمسلمين ، فأمر رسول الله ﷺ بهدمه وإحراقه .

(٥) أى : وكفراً بالله لمحادَّتهم رسوله ، وليفرقوا به جماعة المؤمنين .

(٦) أى : وإعداداً وانتظاراً لمن قاتل رسول الله من قبل « وهو أبو عامر الفاسق » الذى حزَّب الأحزاب لقتال رسول الله ، ثم لحق **بالروم** وكتب إلى أهله يأمرهم ببناء مسجد **الضِّرار** .

(٧) أى : وليحلفن ما أردنا ببنائه إلا المنفعة والتوسعة على المسلمين .

(٨) أى : والله يعلم كذبهم فى حلفهم ذلك .

(٩) أى : لا تصل **يا محمد** فى هذا المسجد الذى بناه المنافقون أبداً .

أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ (١) فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا (٢) وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ (٣) فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ (٤) وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥)(١٠٩) لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ (٦) إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ (٧)وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)(٨) ﴾(٩) .

وهُمُ الذين بَدَّلوا نعمة الله كفراً وأحلُّوا قومهم دارالبوار...

كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

---

(١) أى : والله لمسجد الرسول الذى بُنى على تقوى الله وطاعته من أول يوم ابتدئ فى بنائه أولى أن تقوم فيه مصلياً من مسجد الضرار .

(٢) أى : فى هذا المسجد رجال يحبون أن يتنظفوا بالماء إذا أتوا الغائط .

(٣) أى : هل من ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله ، والله عنه راض خير أم من ابتدأ أساس بنائه على طرف حفرة هائرة ؟

(٤) أى : فسقط به البناء فى نار جهنم .

(٥) أى : لا يوفق الظالمين ولا يرشدهم إلى طريق السعادة .

(٦) أى : لا يزال بنيان هؤلاء المنافقين لمسجد الضرار ، شكاً ونفاقاً فى قلوبهم يحسبون أنهم كانوا فى بنائه محسنين .

(٧) أى : إلا أن تتصدَّع قلوبهم فيموتوا .

(٨) أى : عليم بأفعال خلقه ، حكيم فى تدبير شئونهم .

(٩) التوبة : ١٠٧ ـ ١١٠ .

كُفْرًا (١) وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢) ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٣) ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٤) ﴾(٥) .

وهُمُ الذين يجعلونَ لله البنات ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ(٦) سُبْحَانَهُ (٧) وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٨) ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ (٩) ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا (١٠) وَهُوَ كَظِيمٌ (١١) ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ (١٢)

---

(١) أى : ألم تنظر يا محمد إلى الذين غيَّروا نعمة الله ؟ وهم كفار قريش ـ كما قال **ابن عباس وعطاء ورجحه الطبرى** ـ فقد أنعم الله عليهم بمحمد فكفروا به وكذبوه .

(٢) أى : وأنزلوا قومهم دار الهلاك .

(٣) أى : وجعلوا لربهم شركاء عبدوهم معه ، كى يضلوا الناس عن دين الله .

(٤) أى : قل لهم **يا محمد** : استمتعوا فى الحياة الدنيا ، فإنها سريعة الزوال ، وعما قريب تصيرون إلى النار ، وهو وعيد وتهديد .

(٥) سورة إبراهيم : ٢٨ ـ ٣٠ .

(٦) أى : ويجعل هؤلاء المشركون البنات لمن خلقهم وأنعم عليهم ، ولا ينبغى أن يكون له ولد ذكر ولا أنثى .

(٧) أى : تنزه جل جلاله عما نسبوا إليه من البنات .

(٨) أى : ولهم البنون الذين يشتهونهم ـ وهذا منتهى السفه ..

(٩) أى : وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين بولادة البنات أو البنت .

(١٠) أى : صار وجهه مسوداً من كراهته لها .

(١١) أى : وهو مملوء غماً وحزناً .

(١٢) أى : يستخفى من القوم من مساءته من الأنثى .

أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ(١) أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ(٢) أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(٣) ﴿٥٩﴾﴾(٤).

وهُمُ الأخسَرُونَ أعمالاً ..

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (٥)﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٦) وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(٧)﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ (٨) فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ (٩) فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠) ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا (١١) وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٢)﴿١٠٦﴾ ﴾ (١٣).

---

(١) أى : أيمسكه على ذل وهوان .

(٢) أى : أم يدفنه حياً فى التراب فيئده ، قال قتادة : كان أحدهم يغذو كلبه ، ويئد ابنته .

(٣) أى : ألا ساء الحكم الذى يحكمون به ، حيث جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم .

(٤) النحل : ٥٧ ـ ٥٩ .

(٥) أى : قل لهم يا محمد : هل نخبركم أيها القوم ، بالذين أتعبوا أنفسهم فى عمل يبغون به ربحاً ، فنالوا به عَطَباً وهلاكاً ؟

(٦) أى : الذين لم يكن عملهم على هدى واستقامة ، بل كان على جور وضلالة ، لأنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به .

(٧) أى : وهم يظنون أنهم لله مطيعون ، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون .

(٨) أى : هؤلاء الذين ذكرناهم ، هم الذين كفروا بحجج ربهم وأدلته ، وأنكروا لقاءه .

(٩) أى : فبطلت أعمالهم ، فلم يكن لها ثواب ، بل لهم منها عذاب .

(١٠) أى : ليس لهؤلاء شئ من الأعمال الصالحة ، فتثقل به موازينهم .

(١١) أى : أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله .

(١٢) أى : وباتخاذهم آيات كتابه سخرية ، واستهزائهم برسل الله .

(١٣) الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٦ .

وهُمُ الذين يعبُدُون الله على حرف ..

كمـا يُشيرُ إلى هذا قول الله تبـارك وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ (١) فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ(٢) ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ (٣)﴾(٤) .

وهُمْ أصحابُ الشِّمال ..

كما يشيـر إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ(٥) ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٦) ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٧) ﴿٤٣﴾ لا بَارِدٍ (٨) وَلا كَرِيمٍ (٩) ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ (١٠) ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا

---

(١) أى : ومن الناس من يعـبـد الله على شك ـ قـال الطبـرى : نزلت فى أقـوام من الأعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ مـهاجرين ، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الدخول فى الإسلام أقاموا على الإسلام ، وإلا ارتدوا على أعقابهم .

(٢) أى : خسر دنياه لأنه لم يظفر بحاجته ، وخسر آخرته لأنه معذب فيها .

(٣) أى : ذلك هو الهلاك الواضح ، لمن فكر فيه وتدبره .

(٤) الحج : ١١ .

(٥) أى : وأصحـاب الشمـال الذيـن يؤخـذ بهـم مـن موقف الحسـاب إلى النار ، ماذا لهم ؟ وماذا أُعدَّ لهم ؟

(٦) أى : هم فى هواء جهنم الحار وسمومها وفى حميمها .

(٧) أى : وظل من دخان شديد السواد .

(٨) أى : ليس ذلك الظل ببارد ، كـبرد ظلال سائر الأشـياء ، لأنه دخان من سعـير جهنم حار .

(٩) أى : وليس بكريم ، لأنه مؤلم لمن استظل به .

(١٠) أى : إن هؤلاء كانوا منعَّمين فى الدنيا .

يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (١) ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا (٢) وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٣) ﴿٤٧﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (٤) ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥) ﴿٥٠﴾ ﴾(٦) .

وهُمُ الذين ألهتهُم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله ..

كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ (٧) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ(٨) ﴿٩﴾ ﴾(٩) .

وهُمُ الذين لا يؤمِنُونَ بالله العظيمِ ولا يحضُّون على طعام المساكين ..

كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ

---

(١) أى : وكانوا يقيمون على الذنب العظيم ، وهو الشرك بالله .

(٢) أى : وكانوا يقولون كُفراً منهم بالبعث : أئذا كنا تراباً فى قبورنا بعد مماتنا .

(٣) أى : وكنا عظاماً نخرة ، أئنا لمبعوثون أحياء كما كنا قبل الممات ؟

(٤) أى : وكذلك آباؤنا الذين كانوا قبلنا يبعثون ؟

(٥) أى : قل يا محمد لهم إن الأولين من آبائكم ، والآخرين منكم ومن غيركم ، لمجموعون يوم القيامة .

(٦) سورة الواقعة : ٤١ ـ ٥٠ .

(٧) أى : لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وعن الصلاة .

(٨) أى : ومَن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله فأولئك هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى .

(٩) المنافقون : ٩ .

فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (١) ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢) ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٣) ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٤) ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٥) ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٦) ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٧) ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٨) ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٩) ﴿٣٣﴾ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٠) ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (١١) ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (١٢) ﴿٣٦﴾ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ (١٣)﴾ (١٤) .

وهُمُ الذين تجاوزوا حُدودَ الله ..

كَمَا يُشِيرُ إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ

---

(١) أى : لم أعط كتابى .
(٢) ولم أعرف أى شئ حسابى .
(٣) أى : التى مُتُّهَا فى الدنيا لم يكن بعدها بعث .
(٤) أى : لم يدفع عنى مالى ... شيئاً من العذاب .
(٥) أى : ذهبت عنى حُجَجِى .
(٦) أى : فشدوه بالأغلال .
(٧) أى : أوردوه فى نار جهنم ليصلىٰ فيها .
(٨) أى : أدْخلوه .
(٩) أى : لا يصدق بوحدانية الله العظيم .
(١٠) أى : لا يحض على إطعام ذوى المسكنة والحاجة .
(١١) أى : قريب يدفع عنه .
(١٢) هو ما يسيل من صديد أهل النار .
(١٣) أى : لا يأكل هذا الطعام إلا المذنبون ..
(١٤) الحاقة : ٢٥ ـ ٣٧ .

كَانَتْ مِرصَاداً(١) (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآباً (٢) (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً (٣) (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلا شَرَاباً (٤) (٢٤) إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً (٥) (٢٥) جَزَاءً وِفَاقاً(٦) (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً (٧)(٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً (٨)(٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً (٩) (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً (٣٠) (١٠)﴾(١١) .

---

(١) أى : إن جهنم ترقب من يجتازها وترصدهم .

(٢) أى : هى للذين تجاوزوا حدود الله منزل ومرجع ، يرجعون ويصيرون إليه .

(٣) أى : ماكثين فى جهنم دهوراً لا تنقضى فى عذاب متنوع .

(٤) أى : لا يطعمون فيها برداً يبرد حَرَّ السعير عنهم إلا الغسَّاق ، ولا شراباً يرويهم من شدة العطش إلا الحميم .

(٥) أى : لا يشربون إلا ماء حميماً قد أُغلى حتى انتهى حره ، فهو كالمهل يشوى الوجوه ، ولا بردًا إلا غسَّاقاً وهو السائل الزمهرير ، الجامع مع شدة برده نتن رائحته .

(٦) أى : هذا العذاب للكفار ثواباً لهم على أفعالهم وأقوالهم الرديئة التى كانوا يعملونها فى الدنيا .

(٧) أى : إن هؤلاء الكفار كانوا لا يخافون محاسبة الله إياهم فى الآخرة على نعمه عليهم .

(٨) أى : وكذبوا بحجتنا وأدلتنا تكذيباً .

(٩) أى : وكل شئ كتبنا عدده ومبلغه ، وقدره كتاباً ، فلا يعزب عنا علم شئ منه .

(١٠) أى :فذوقوا أيها القوم من عذاب الله الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا فلن نزيدكم إلا عذاباً على العذاب الذى أنتم فيه .

(١١) النبأ : ٢١ ـ ٣٠ .

وهُمُ الطُّغاةُ الذين آثروا الحياةَ الدنيا على الآخرة ...

كما يُشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (١) ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٢) ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ(٣) ﴿٣٩﴾ ﴾(٤) .

وهُمُ الذينَ فَتَنُوا المؤمنينَ والمؤمناتِ ثم لم يتُوبوا ..

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا(٥) فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾(٦) ﴾(٧) .

وهُمُ الذين طَغَوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٨) ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٩) ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (١٠) ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ(١١) ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي

---

(١) أى : من عتا على ربه وعصاه واستكبر عن عبادته .

(٢) أى : فضل الدنيا على الآخرة .

(٣) أى : فإن جهنم منزله ومأواه .

(٤) النازعات : ٣٧ ـ ٣٩ .

(٥) أى : إن الذين ابتلوا المؤمنين والمؤمنات بتعذيبهم وإحراقهم بالنار ثم لم يتوبوا من كفرهم وفعلهم هذا .

(٦) أى : فلهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا .

(٧) البروج : ١٠ .

(٨) أى : ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فترى كيف فعل ربك بإحدى قبائل عاد ؟

(٩) أى : إرم الذين كانوا أهل عمد ، ينتجعون أماكن الغيث ، وينتقلون إلى الكلأ حيث كان ، ثم يرجعون إلى منازلهم .

(١٠) أى : التى لم يخلق الله مثلها فى العظم والبطش والقوة .

(١١) أى : وما فعل ربك كذلك بثمود الذين خرقوا الصخر ودخلوه فاتخذوه بيوتاً ؟

الأَوْتَادِ(١) ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (٢) ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (٣) ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (٤) ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (٥) ﴿١٤﴾﴾(٦)

أى : إن ربك رقيب على كل ظالم ..

وهُمُ الذين خَفَّ وزنُ حسناتهم يوم القيامة ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٧) ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٨) ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (٩) ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ (١٠) ﴿١١﴾ ﴾(١١).

---

(١) أى : وما فعل ربك أيضاً بفرعون ، صاحب الأوتاد التى كان يعذب الناس بها وقيل : وصف بذلك لكثرة جنوده .

(٢) أى : الذين تجاوزوا الحد فى الكفر ، وعتوا على ربهم فى البلاد التى كانوا فيها.

(٣) أى : فأكثروا فى البلاد المعاصى وركوب ما حرم الله عليهم .

(٤) أى : فأنزل بهم ربك عذابه وأحل بهم نقمته .

(٥) أى : إن ربك يا محمد لأهل الكفر بالمرصاد .

(٦) الفجر : ٦ ـ ١٤ .

(٧) أى : وأما مَن خف وزن حسناته .

(٨) أى : فمأواه ومسكنه الهاوية ، التى يهوى فيها على رأسه فى جهنم ، فهى تضمه كأمه ليس له سواها .

(٩) أى : وما أشعرك يا محمد ما الهاوية ؟!

(١٠) أى : هى النار التى حميت من الوقود عليها .

(١١) القارعة : ٨ ـ ١١ .

وهُمُ الهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) ۝٣ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩) ۝٩ ﴾ (١٠) .

وهُمُ الذين يُكَذِّبون بيوم الدين وما فيه من ثواب وعقاب .

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ

---

(١) الويل : هو الوادى الذى يسيل من صديد أهل النار لكل مغتاب للناس يَعيبهم ويطعن فيهم . والهمزة : الهماز الذى يغتاب الناس ويطعن فى أعراضهم . واللمزة : أى اللماز الذى يعيب الناس وينال منهم بالحاجب والعين .

(٢) أى : الذى جمع مالاً وأحصى عدده ، ولم ينفقه فى سبيل الله ، ولكنه جمعه فأوعَاه .

(٣) أى : أيظن أن ماله الذى جمعه وبخل بإنفاقه مخلده فى الدنيا ـ وقد نزلت السورة فى (الأخنس بن شريق) كان كثير الطعن فى الناس يسخر منهم ويعيبهم ، والآية عامة ـ .

(٤) أى : ليس ماله مخلده ، ولكن ليقذفن به يوم القيامة فى النار التى تحطم كل ما أُلقى فيها .

(٥) أى :وأى شئ أشعرك يا محمد ما الحطمة ؟

(٦) أى : النار المسعرة بأمر الله تعالى .

(٧) أى : التى يبلغ ألمها ووهجها القلوب .

(٨) أى : إن النار على هؤلاء الهمازين اللمازين مُطبقة .

(٩) أى : أنهم يعذبون بعمد فى النار .

(١٠) سورة الهُمزة بأكملها .

بالدّينِ (١) ﴿١﴾ فَـذَلكَ الَّذي يَدُعُّ الْيَـتـيمَ (٢) ﴿٢﴾ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَـامِ الْمِسْكِينِ(٣) ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) ﴿٤﴾ الَّذينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ(٦) ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾(٨) .

---

(١) أى : أرأيت يا محمد الذى يكذب بثواب الله وعقابه .. فى يوم الدين ؟ وهو يوم القيامة .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى في سورة الانفطار من الآية ١٧ ـ ١٩ : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

(٢) أى : فذلك الذى يدفع اليتيم عن حقه ويظلمه .

(٣) أى : ولا يحث غيره على إطعام المحتاج من الطعام .

(٤) أى : فالويل وهو الوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين الذين يُصلون لا يريدون الله عز وجل بصلاتهم .

(٥) أى : الذين هم عن صلاتهم لاهون ، غافلون عنها أحياناً ، ويضيعون وقتها أحياناً أخرى .

(٦) أى : الذين يُراءُون بصلاتهم إذا صلوا ، لأنهم يصلون ليراهم المؤمنون فيكفون عن سفك دمائهم ، وهؤلاء هم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، يبطنون الكفر ، ويظهرون الإسلام .

(٧) أى : ويمنعون الناس منافع ما عندهم . وقد قيل : إن الماعون هو زكاة أموالهم ، وقيل المال ، وقيل : إنه اسم جامع لمنافع البيت كالفأس والقدر وما أشبه ذلك ، وقبل : هو ما لا يحل منعه كالماء والملح والنار ، ويحتمل أنه المعونة بما خَفَّ فعله وقد ثقله الله .. وقيل : هو المعروف كله كالذى يتعاطاه الناس فيما بينهم . (ففى) هذه الآية زجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة ، فإن البخل بها فى نهاية البخل (قال) العلماء : ويستحب أن يستكثر الرجل فى بيته مما يحتاج الجيران إليه فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب .

(٨) سورة الماعون بأكملها .